زيتون

العدد :198

www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة السادسة | 15 تشرين الأول 2019

«نبع السلام» هل هي معركة سورية؟

معركة شرق الفرات تمنح الجولاني وقتا إضافيا

من المؤكد أن سعادة الجولاني بقرار الانسحاب الأمريكي وإعلان تركيا قرب توغلها في شرق الفرات بمشاركة فصائل الجيش الوطني هي سعادة كبيرة بحجم خيبة أمل السوريين في إدلب، الذي عقدوه على دمج الجبهة الوطنية للتحرير والجيش الوطني.

فقد السوريون أملهم أن يكون هدف هذا الاندماج هو حل جبهة النصرة والإطاحة بها وعودة إدلب لتكون تحت سيطرة الجيش الوطني، في خطوة حلموا بأن تكون على المسار الصحيح، لكن تبين بعد ساعات قليلة على هذا الاندماج حجم فرق الحسابات ما بين السوريين والضامن لهم.

وبـدل توجه الجيش الوطني لإزاحة جبهة النصرة التي أرهقت ما يسمى بالمناطق المحررة، أعلن الجيش بشكل فج وسافر عن مشاركته بمعارك مأجورة في شرق الفرات تحت إمـرة الجيش التركي كـ "رأس حربة"، متجاهلا مناطقه وجبهاته في ريف إدلب الجنوبي.

تمنح المعركة المرتقبة في شرق الفرات وقتا طويلا للجولاني، ليرسخ سلطته أكثر ويمارس سلبه واستثماراته التي بدأها أمس باجتماع مع ٨٠ رجل أعمال وتاجر في محافظة إدلب، ليمنحهم الحصانة من الاعتقال وطمأنتهم من توقف تقدم النظام عند المناطق التي سيطر عليها مؤخرا، كما طرح عليهم مشاريع استثمارية منها مشاريع تركية في مجال الاتصالات والكهرباء، وستمنحه كذلك القدرة على الانتقام من الأهالي الذين جاهروا بالعداء له ليزيد من سفك دمائهم واعتقالهم.

كما تشكل معركة شرق الفرات تهديدا جديا على اللاجئين في الأراضي التركية، والتي ينوي الرئيس التركي إعادتهم إلى المناطق التي سيدخلها في شرق الفرات، ليصبح السوري وسيلة سياسية في تغيير الطبيعة السكانية للمناطق بهدف تحقيق مصالح تركية، الأمر الذي يفوت الكثيرين من المشجعين على المعركة والذين سيجدون أنفسهم بعد وقت قصير ضحايا ترحيل قسري إلى مناطق ليست بمناطقهم.

من جهة أخرى فإن الجيش الوطني المشارك بالعملية العسكرية سيكون بمثابة الشرطة للحكومة التركية بعد الانتهاء من المعارك، وهو بما يقوم به سيخسر صفته الوطنية إضافة لأي احترام من أي طرف.

ومن المرجح أن يقوم الجانب التركي بعد سيطرته على مناطق شاسعة شرق الفرات بتقديم تنازلات جديدة للجانب الروسي الذي سهل له الدخول إلى شرق الـفـرات، وتطبيق مخرجات أستانة التي تنص على نزع سلاح المجموعات المتشددة المتواجدة في إدلـب، ليتم بعدها دخـول النظام مقابل خروج المدنيين إلى مناطق شرق الفرات كحزام عربي آمن لتركيا.

وحدهم السوريون هم الخاسرون من هذه المعركة عربا وأكـرادا، ووحدهم من يتم التلاعب بدمائهم وأراضيهم، في حين تفوز الدول الضامنة بشكل كامل، وتحقق تركيا ما حلمت به منذ سنوات كما سيفوز الـروس والنظام بصورة من استطاع إعادة السوريين إلى أراض سورية، وسيفرح الإيرانيون بخروج الأمريكان وترسيخ صورتهم الغادرة.

إجماع دولي مندد بالهجوم التركي على شمال شرق سوريا

توالت الردود الدولية الرافضة والمنددة على إعلان الرئيس التركي رجب طيب أردوغـان عن معركة قواته في منطقة شرق الفرات شرقي سوريا.

ويعقد مجلس الأمـن الـدولي اليوم الخميس اجتماعا طارئا لبحث الهجوم الـتركي في سورية بعد تـوالي الإدانـات العربية والدولية على الهجوم التركي على شمال سوريا.

ووصـف البيت الأبـيـض عـلى لسان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب العملية العسكرية التركية بـ "الفكرة السيئة"، ونفى وجود أي جندي أمريكي في منطقة العمليات العسكرية شمال شرق سوريا، متوقعا من تركيا الوفاء بكل التزاماتها.

كما قـال السيناتور الأمريكي وعضو الحزب الجمهوري ليندسي غراهام، إن الكونغرس الأمريكي سيجعل تركيا تدفع ثمنا باهظا لعملياتها في شمالي شرق سوريا، مشيرا إلى أن تفويض روسيا وتركيا وإيـران بمهمة محاربة تنظيم داعش ليس جيدا، والإيمان بعكس ذلك خطيرا جدا.

وذكر السيناتور الديمقراطي كريس فان هولن أن أمريكا تضع اللمسات الأخيرة على مشروع قانون لفرض عقوبات على تركيا، ويجب على تركيا أن تدفع ثمنا باهظا لشنها هجوما على شركائنا الأكراد. وفي ردود الفعل الأوربـيـة توالت المواقف الرافضة للعملية من قبل كل من فرنسا وبلجيكا وألمانيا والمملكة المتحدة وبولندا وذلك بتقديم طلب لعقد اجتماع مغلق لمجلس الأمن اليوم الخميس لبحث العملية العسكرية التركية في سوريا.

وطالب رئيس الإتحاد الأوربي جان كلود يونكر تركيا بوقف عملياتها العسكرية ضد المسلحين الأكراد بقوله إن الاتحاد الأوربي لن يدفع أموالا لإقامة ما يسمى المنطقة الآمنة في شمال سوريا.

وزير الخارجية الألماني هايكو ماس اعتبر أن تركيا تخاطر عمدا بزعزعة استقرار المنطقة بشكل أكبر وبإعادة داعش من خلال هجومها على شمال شرق سوريا، مشيرا إلى أن ألمانيا تدعو أنقرة إلى إنهاء هجومها والسعي لتحقيق مصالحها الأمنية بشكل سلمي.

الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ينس ستولتنبرغ حث تركيا على عدم التسبب في مزيد من زعزعة الاستقرار في المنطقة عبر تحركاتها العسكرية.

كما استدعت الخارجية الهولندية بحسب وزيرها ستيف بلوك السفير التركي لتقديم إدانة على هجوم أنقرة على القوات الكردية في شمال سوريا.

وزير خارجية بريطانيا دومينيك راب قـال إن لديه مخاوف بالغة بشأن الهجوم التركي على شمال شرق سوريا وتابع قائلا في بيان له "المخاطر تتضمن زعزعة استقرار المنطقة وتفاقم المعاناة الإنسانية وتقويض التقدم الذي أحرز في مواجهة داعش".

بدورها أدانت فرنسا الهجوم التركي على شمال سوريا وأحالته إلى مجلس الأمن الدولي، كما طالبت تركيا بوقف الهجوم، وتشاورت مع حلفائها الأوروبيين للنظر بكل الخيارات بشأن الهجوم التركي.

من جانبه دعا الاتحاد الأوربي إلى إيقاف العملية العسكرية التي أطلقتها تركيا في شمال سوريا محذرة من زعزعة استقرار المنطقة برمتها.

وقالت الممثلة العليا للشؤون الخارجية في الاتحاد الأوربي فيديريكا موغريني في بيان لها حول العملية العسكرية التركية إن "الاتحاد الأوروبي يدعو تركيا لانهاء العملية العسكرية، وان الاشتباكات الجديدة شمال شرقي سوريا ستؤدي إلى زعزعة الاستقرار في المنطقة برمتها".

وأضـافـت موغريني: "تركيا شريك أساسي للاتحاد الأوروبي ولاعب مهم في المنطقة، ونقدر دور تركيا في استضافة اللاجئين السوريين على أراضيها".

نائب رئيس الـوزراء وزير الخارجية والدفاع البلجيكي ديديير ريندرز، أدان العملية العسكرية التركية في شمال شرقي سوريا، داعيًا تركيا إلى إلغاء العملية على الفور.

وقال في بيان أصدرته وزارة الخارجية البلجيكية أن الطريقة الوحيدة لإيجاد حل دائم للصراع هي من خلال عملية سياسية، اتخذت الخطوات الأولى مؤخرًا لتحقيق ذلك من خلال إنشاء لجنة دستورية.

بـدورهـا أعربت أستراليا عن قلقها البالغ إزاء شن تركيا عملية عسكرية جديدة ضد المقاتلين الأكراد في شمال شرقي سوريا، محذرة من أن ذلك قد يهيئ الظروف الملائمة لانتعاش تنظيم "داعش" في المنطقة.

وقال رئيس الـوزراء الأسـترالي سكوت موريسون إن العملية التركية الجديدة التي تحمل اسم "نبع السلام"، هي خطوة أحادية الجانب وستحمل عواقب وخيمة للأمن الإقليمي ومـن شأنها تقويض المكاسب التي حققها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في حربه ضد تنظيم "داعش"، علاوة على تأثيرها المتوقع على المدنيين.

الجيش الإسرائيلي قال في بيان له: "إنه يشعر بالقلق، إزاء زعزعة الاستقرار بالمنطقة"، فيما عبر الوزير الأسبق جدعون ساعر على "تويتر"، أنه "يجب على إسرائيل أن تُسمع صوتًا أخلاقيا وواضحًا ضد عـدوان أردوغـان والمس بالكرد في شمال سوريا وعرض تقديم المساعدة الإنسانية".

وقـال القيادي يائير لبيد أحـد أبرز السياسيين الإسرائيليين أنه و"على ضوء أنشطة تركيا في شمال سوريا، أحث وزير القضاء أمير أوحانا على تقديم مشروع قانون إلى الكنيست، للاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن، وهو مشروع قانون منعه رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو من تقديمه"، متعهّدا بالتصويت لصالح هذا المشروع، إن قدم.

بـدوره قـال مستشار رئيس البرلمان الإيراني؛ إن العملية العسكرية التركية شـمالي سوريا تزيد أوضـاع المنطقة تعقيدا، والأفضل لأنقرة أن تتعامل مع مخاوفها الأمنية عبر احترام وحدة وسيادة الأراضي السورية.

كما حذر الرئيس العراقي برهم صالح، من مخاطر التوغل التركي شمال سوريا، مؤكدًا أنه سيؤدي لفاجعة إنسانية ويعزز قـدرة الإرهابيين على إعـادة تنظيم فلولهم.

وكـان وزيـر الخارجية الـتركي أكد أن العملية العسكرية تجري وفق القانون الـدولي والمـادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة وقـرارات مجلس الأمن بشأن مكافحة الإرهاب.

أردوغان يرد على منتقديه ويهدد أوروبا بموجة لجوء جديدة

هدد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بفتح أبواب أوروبا أمام ملايين اللاجئين، ردا على الانتقادات الأوروبية للعملية العسكرية التركية في شمال شرق سوريا.

واستنكر أردوغان في خطاب ألقاه في اجتماع لرؤساء فروع حزب العدالة والتنمية في الولايات التركية في أنقرة اليوم الخميس، الانتقادات الدولية التي تعرضت لها تركيا على خلفية العملية التي أطلقتها أمس في مناطق سيطرة الأكراد في شمال سوريا، وانتقد أردوغان كلا من السعودية ومصر والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، وجدد التأكيد على أن الهجوم هدفه إبعاد خطر الإرهاب عن الحدود التركية.

وقال أردوغان مخاطبا الاتحاد الأوروبي، "إذا حاولتم تقديم عمليتنا على أنها اجتياح، فسنفتح الأبواب ونرسل لكم ٣,٦ مليون لاجئ"، مضيفا، "يقولون إنهم سيجمدون ثلاثة مليارات يورو، وهل احترمتم يوما وعدا قطعتموه لنا؟"، وتابع قائلا، "سنتدبر أمورنا، لكننا سنفتح الأبواب أمام اللاجئين".

يذكر أن الدول العربية والأوروبية انتقدت بشدة العملية العسكرية التي بدأتها تركيا أمس الأربعاء في شمال شرق سوريا تحت اسم "نبع السلام" لضرب معاقل الفصائل الكردية وإنشاء منطقة آمنة لتركيا، بعد اتفاق مع الجانب الأمريكي.

دخلت قوات النظام السوري أمس الاثنين إلى إحدى القواعد العسكرية بعد إخلائها من قبل القوات الأمريكية في محيط مدينة منبج شرق حلب.

الولايات المتحدة وروسيا ترفضان إدانة عملية نبع السلام التركية

رفضت الولايات المتحدة وروسيا أمس الخميس، مشروع قرار في مجلس الأمن الدولي تقدمت به ٥ دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي، لإدانة عملية نبع السلام التركية في شرق نهر الفرات بسوريا.

وطالبت الدول الخمس في مجلس الأمن الدولي عبر بيان رسمي من تركيا بوقف عملها العسكري في سوريا، ومناقشة المستجدات وعملية نبع السلام التركية شرق الفرات.

وجاء رفض الولايات المتحدة وروسيا، المقترح الذي تقدمت به كل من فرنسا وألمانيا وبلجيكا وبريطانيا وبولندا، لإدانة عملية نبع السلام التركية في شمال شرق سوريا، خلال جلسة مغلقة لمجلس الأمن الدولي.

وقال الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريس"، خلال مؤتمر صحفي تلا الجلسة إنه ينبغي العمل على خفض تصعيد الصراع في سوريا، مؤكدا أن "العمل العسكري التركي يهدد جهود مكافحة داعش في سوريا"، ودعا كافة الأطراف في شمال شرق سوريا لحماية المدنيين.

وقالت المبعوثة الأمريكية الدائمة لدى الأمم المتحدة "كيلي كرافت"، في تصريح للصحفيين، إن بلادها لا تدعم العملية التركية، وأضافت إن تركيا مسؤولة الآن عن حماية الأقليات في سوريا بمن فيهم المسيحيين والأكراد وعدم وقوع أزمة إنسانية في سوريا، وعدم هروب أي مقاتل محتجز من داعش.

وعقب الجلسة أدلت بريطانيا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وبولندا، ببيان مشترك، أعربت فيه عن قلقها العميق من العملية العسكرية التركية في سوريا، وطالبت تركيا بإنهائها، وبينت أن خطة تركيا في إقامة منطقة آمنة في سوريا لتأمين عودة اللاجئين إليها "قد لا تفي بالمعايير الدولية التي حددتها المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين".

يذكر أن الدول العربية والأوروبية انتقدت بشدة العملية العسكرية التي بدأتها تركيا يوم الأربعاء في شمال شرق سوريا تحت اسم "نبع السلام" لضرب معاقل الفصائل الكردية وإنشاء منطقة آمنة لتركيا، بعد اتفاق مع الجانب الأمريكي.

جامعة الدول العربية: الهجوم التركي هو غزو واحتلال لأرض عربية

قال أحمد أبو الغيظ الأمين العام لجامعة الدول العربية أمس السبت، إن العملية العسكرية التركية في شمال شرق سوريا هي غزو لأراضي عربية وعدوان على سيادتها.

فيما أدان وزير الخارجية العراقي محمد علي الحكيم خلال اجتماع في جامعة الدول العربية بدعوى من مصر الهجوم التركي، واعتبره تصعيدا خطيرا سيؤدي إلى تفاقم الأزمات الإنسانية، وسيزيد من معاناة الشعب السوري ويعزز قدر "الإرهابيين" على إعادة تنظيم فلولهم.

وطالب وزيرا الخارجية العراقي واللبناني بإعادة عضوية سوريا إلى جامعة الدول العربية، وقال وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل "ألم يحن الوقت لعودة الأبن المبعد والمصالحة العربية – العربية، أم علينا انتظار الأضواء الخضراء من كل حدب وصوب".

وأصدرت جامعة الدول العربية بيان ختامي للجلسة قالت فيه: "إن المجلس قرر النظر في اتخاذ إجراءات عاجلة دبلوماسية واقتصادية واستثمارية وثقافية وسياحية، وفيما يتعلق بالتعاون العسكري لمواجهة العدوان التركي".

من جانبه أدان رئيس مكتب الاتصالات في الرئاسة التركية، فخر الدين ألتون، وصف الجامعة العربية في بيانها العملية العسكرية التي تنفذها تركيا شمال شرقي سوريا ضد العناصر الإرهابية بـ "الاحتلال".

وقال ألتون في بيان نشره باللغة الإنجليزية في حسابه بموقع التواصل الاجتماعي تويتر وترجمته وكالة الأناضول؛ أدين وبأشد العبارات جامعة الدول العربية التي وصفت العملية التي تجريها بلادنا لمكافحة الإرهاب في شمال شرقي سوريا بأنها "احتلال".

وأشار ألتون إلى أن تركيا تدرك حقيقة أن أولئك الذين لا يشعرون بالارتياح من دفاع تركيا عن حقوق الشعب الفلسطيني، واعتراضها على الصفقات التي تستهدف القدس، ومعارضتها للانقلابات العسكرية والجرائم المرتكبة في مناطق شتى واستهداف المدنيين في اليمن، لا يمثلون العالم العربي.

وأضاف، إن انزعاج أولئك الذين لم تهتز لهم شعرة من احتلال منظمة "بي كا كا" الإرهابية لمنطقة غالبية سكانها من العرب، وقيام هذه المنظمة بتهجير المدنيين العرب الأبرياء من ديارهم ومناطقهم، وتدمير القرى العربية هناك وتسويتها بالأرض، من معركتنا ضد الإرهاب، لن يكون سوى مناسبة تدفعنا نحو الشعور بالفخر.

تركيا: سنواجه الجيش السوري إذا وقف في طريقنا

حذر مستشار الرئيس التركي ياسين أقطاي، من اندلاع اشتباكات بين الجيش التركي والجيش السوري، إذا حاول جيش النظام السوري مقاومة العملية العسكرية التركية في شمال شرقي سوريا.

وقال أقطاي في تصريح لوكالة سبوتنيك الروسية أمس الأحد، "إذا حاول جيش النظام السوري مقاومة ما تفعله تركيا شمال شرقي سوريا والوقوف أمامه، فمن الممكن أن تندلع اشتباكات بين الجيشين".

وأضاف، "إذا كان الجيش السوري يستطيع تحقيق الأمن والأمان في شمال شرق سوريا فلماذا انتظر حتى الآن؟ لماذا يحاولون الدخول إلى شمال شرق سوريا بعد دخول الجيش التركي إليها".

وتابع مستشار الرئيس التركي قائلا: "ليس لدى الجيش السوري القوة، كما ليس لديه ما يفعله في شمال شرق سوريا، فإذا دخلوا شمال شرق سوريا من سيحاربون هناك؟ هل سيقاومون ضد القوات الأميركية أم ضد كيان حزب العمال الكردستاني/ وحدات حماية الشعب؟ أم ضد تركيا؟ عليهم التفكير قبل التوجه إلى المنطقة وتعقيد الأمور هناك".

وكانت الإدارة الذاتية الكردية قد أعلنت أمس الأحد، التوصل إلى اتفاق مع النظام السوري ينص على انتشار جيش النظام السوري على طول الحدود مع تركيا، لمؤازرة قوات سوريا الديمقراطية "قسد" والتصدي لهجوم تركيا والفصائل الموالية لها.

وقالت الإدارة الذاتية في بيان على صفحتها على فيسبوك: "تم الاتفاق مع الحكومة السورية التي من واجبها حماية حدود البلاد والحفاظ على السيادة السورية كي يدخل الجيش السوري وينتشر على طول الحدود السورية التركية لمؤازرة قوات سوريا الديمقراطية لصد هذا العدوان وتحرير المناطق التي دخلها الجيش التركي ومرتزقته المأجورين"، مضيفة أن هذا الاتفاق يتيح الفرصة لتحرير باقي الأراضي والمدن السورية المحتلة من قبل الجيش التركي كعفرين وباقي المدن والبلدات السورية الأخرى، بحسب نص البيان.

وأعلنت وسائل إعلام موالية لنظام الأسد صباح اليوم عن دخول قوات من الجيش السوري إلى بلدة تل تمر بريف الحسكة لمواجهة عملية نبع السلام العسكرية في شرق الفرات.

أردوغان: الجامعة العربية فقدت شرعيتها

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان: "إنّ الجامعة العربية بقراراتها التي لا تعكس النبض والمشاعر الحقيقية للشارع العربي، فقدت شرعيتها".

جاء ذلك في مقال للرئيس التركي لصحيفة وول ستريت جورنال الإمريكية، نشرت الثلاثاء، حيث تساءل أردوغان عن سبب انزعاج بعض الدول العربية من المساعي التي تبذلها تركيا في سبيل إعادة اللاجئين السوريين إلى وطنهم. قائلاً : كم استقبلت هذه الدول من ضحايا الحرب؟.

وتأتي تلك التصريحات بعد وصف الجامعة العربية الهجوم على شمال شرق سوريا بالغزو والاحتلال، حيث قال أحمد أبو الغيظ الأمين العام لجامعة الدول العربية يوم السبت، إن العملية العسكرية التركية في شمال شرق سوريا هي غزو لأراضي عربية وعدوان على سيادتها.

فيما أدان وزير الخارجية العراقي محمد علي الحكيم خلال اجتماع في جامعة الدول العربية بدعوى من مصر الهجوم التركي، واعتبره تصعيدا خطيرا سيؤدي إلى تفاقم الأزمات الإنسانية، وسيزيد من معاناة الشعب السوري ويعزز قدرة "الإرهابيين" على إعادة تنظيم فلولهم.

وطالب وزيرا الخارجية العراقي واللبناني بإعادة عضوية سوريا إلى جامعة الدول العربية، وقال وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل "ألم يحن الوقت لعودة الأبن المبعد والمصالحة العربية – العربية، أم علينا انتظار الأضواء الخضراء من كل حدب وصوب".

وقالت جامعة الدول العربية في بيانها الختامي للجلسة الطارئة يوم السبت: "إن المجلس قرر النظر في اتخاذ إجراءات عاجلة دبلوماسية واقتصادية واستثمارية وثقافية وسياحية، وفيما يتعلق بالتعاون العسكري لمواجهة العدوان التركي".

بعد إخلائها.. قوات النظام تدخل قاعدة أمريكية في مدينة منبج

وقالت وكالة سبوتنيك الروسية، إن وحدة خاصة من الفرقة التاسعة في جيش النظام السوري توجهت إلى قاعدة مجمع المطاحن جنوب مدينة منبج، والتي كانت تتخذها القوات الأمريكية قاعدة عسكرية في شمال سوريا، مضيفة، أن دخول قوات النظام إلى القاعدة الأمريكية جاء بعد إخلائها من قبل القوات الأمريكية يوم الأحد الماضي.

وأشارت الوكالة إلى أن مجمع المطاحن في منبج يعد أكبر قاعدة أمريكية في المنطقة، حيث يضم مطاعم ومشافي خاصة ومبان لوجستية.

وكان ترامب قد أعلن عن سحب القوات الأمريكية من شمال شرق سوريا، بعد مكالمة هاتفية مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، قبل عملية "نبع السلام" التي تشنها تركيا على شمال شرق سوريا منذ الأربعاء الماضي، مضيفا، "حان الوقت لإعادة الجنود الأمريكيين والخروج من الحرب السورية التي لا نهاية لها"، واصفا إياها بالسخيفة والقبلية.

قالت وسائل إعلام النظام السوري اليوم الثلاثاء، إن وحدات من الجيش العربي السوري انتشرت في مدينة منبج بريف حلب الشمالي الشرقي، بالتزامن مع استمرار انسحاب القوات الأمريكية من المدينة.

ونشرت قناة الإخبارية السورية اليوم الثلاثاء صورا ومقاطع مصورة قالت إنها "احتفالات شعبية ترحيبا بدخول وحدات من الجيش العربي السوري إلى مدينة منبج".

وكانت قوات النظام السوري دخلت أمس الاثنين إلى القاعدة العسكرية الأمريكية في مجمع المطاحن جنوب مدينة منبج، بعد إخلائها من قبل القوات الأمريكية يوم الأحد الماضي.

وكان الجيش التركي والجيش الوطني السوري قد أعلنا يوم أمس الاثنين، بدأ معركة تحرير منبج بريف حلب الشرقي ضمن عملية نبع السلام، وقالت غرفة عمليات نبع السلام في بيان لها على موقع تليغرام، إنها انطلقت لفتح محور جديد بهدف تحرير مدينة منبج ومحيطها من قوات سوريا الديمقراطية "قسد" ضمن العملية العسكرية التركية في شمال سوريا.

وكان الجيش الوطني أعلن الأحد الماضي، عن سيطرته على مدينة تل أبيض بريف الرقة الشمالي، بالإضافة لعدة مناطق جديدة في ريفي الحسكة والرقة ضمن عملية "نبع السلام".

وقال الجيش الوطني على معرفاته الرسمية: إن قوات الجيش الوطني سيطرت على مدينة تل أبيض بريف الرقة الشمالي بعد معارك عنيفة مع قوات سوريا الديمقراطية "قسد" ووحدات الحماية الكردية.

وأضاف، إن الجيش الوطني وبدعم من تركيا استطاع السيطرة على مدينة سلوك بريف الرقة وقرى طويحينة وتل الجنب والسعدون والتويجيل والصالحة ووضحة والدهماء والرواية ومبروكة وأبو جلود وأبو شاخات والخالدية وحروبي ورجعان في محيط رأس العين وتل أبيض، كما سيطر على حوش الكهرباء على الطريق الدولي الحسكة – حلب.

فيما قالت مصادر محلية، إن الجيش الوطني انسحب من محيط بلدة عين عيسى إلى قرية الكنطري بريف الرقة، وذلك بسبب وجود قاعدة أمريكية بالبلدة، إضافة لوجود أكبر المخيمات التي تتواجد فيها عائلات تنظيم داعش.

الجدير ذكره أن وزارة الدفاع التركية أعلنت أمس السبت، سيطرتها على مدينة رأس العين بريف الحسكة الشمالي، في إطار عملية نبع السلام.

هل اقترب العمل العسكري ضد تحرير الشام؟

أعلن رئيس الحكومة السورية المؤقتة عبد الرحمن مصطفى أمس الجمعة عن اندماج الجيش الوطني والجبهة الوطنية للتحرير تحت جسم عسكري موحد، يتبع لوزارة الدفاع في الحكومة المؤقتة.

وأشار المصطفى إلى أن أهداف الجيش المشكل "تحرير جميع أراضي البلاد، ومحاربة الفساد والدكتاتورية والطائفية والحفاظ على وحدة وسلامة الأراضي السورية والدفاع عن المناطق المحررة، وإعادة المناطق المحتلة إلى أصحابها الحقيقيين".

أعقب هذا الاندماج بيوم واحد تصريحات حادة من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان حيث وقال في كلمة ألقاها خلال اجتماع حزب العدالة والتنمية في العاصمة التركية أنقرة اليوم السبت، إن بلاده أتمت استعداداتها وأكملت خطة العملية العسكرية في شرق الفرات، وأصدرت التعليمات اللازمة بخصوص ذلك، مضيفا أن "موعد العملية قريب إلى حد يمكن القول إنها اليوم أو غدا، وسنقوم بتنفيذ العملية من البر والجو"، مشيرا إلى أن هدف العملية هو إرساء السلام في شرق الفرات.

كما يأتي هذا الاندماج بعد دعوة أطلقها رئيس هيئة التفاوض نصر الحرير إلى التحرك ضد "هيئة تحرير الشام"، معتبراً أن النظام وحلفاءه مستمرون في التصعيد العسكري بإدلب، متخذين من "تحرير الشام" ذريعة. مشيراً:

"في إدلب وحشان، الوحش الأول نظام بشار الأسد ومليشياته، والثاني هو هيئة تحرير الشام أو القاعدة أو كل مسمياتها ورموزها".

وأضاف الحريري:

"لا يجب أن نُبقي ملف تحرير الشام لعبة بيد الروس يستخدمونها حيث يشاءون، ولابد للجيش الحر الموجود على الأرض التعاون مع الدول الموجودة في التحالف الدولي، بأي صيغة دولية، من أجل التخلص من هذا التنظيم دون السماح للنظام ولروسيا ولإيران التقدم بهذه المنطقة وارتكاب الجرائم".

وكان القيادي في الجيش الوطني ورئيس المكتب السياسي للواء المعتصم "مصطفى سيجري"، حث في وقت سابق من هذا الشهر عناصر هيئة تحرير الشام للانشقاق عن الهيئة، مناشدا ترك صفوف الهيئة والوقوف مع الجيش الوطني.

وفي أشارة قوية أكد وزير الدفاع التركي "خلوصي أكار" منذ أيام على ضرورة تحقيق الاستقرار بإدلب في أقرب وقت، وذلك لضمان الأمن والسلام لنحو أربعة ملايين شخص.

كما أكد سابقا نائب وزير الخارجية التركي "سادات أونال" أن بلاده "تواصل الجهد من أجل تطبيق اتفاقية إدلب، وأن تجري محاربة العناصر المتطرفة فيها، ولكن من دون أن يُستهدف المدنيون أو البنية التحتية المدنية".

بالمقابل شكك القيادي في الجيش الحر "فاروق أبو بكر" بأن الاندماج جاء بهدف قتال هيئة تحرير الشام مؤكدا على: "إن الأهداف الأساسية للجيش هي إسقاط النظام وتحرير البلاد من روسيا وإيران ومحاربة المجموعات الإرهابية الكردية "ب ي د و ب ك ك" وبعض المجموعات الإرهابية التي غايتها القتل وهي "داعش".

وأضاف أبو بكر في حديث له على تلفزيون سوريا "إن كانت هناك معطيات حقيقية على الأرض تسمح للجيش الوطني للتعامل مع هذه الجماعة فليست هناك مشكلة، أما الأن لا نستطيع التحدث عن عملية ضد تحرير الشام في الوقت نفسه الذي يجتاح به النظام وروسيا المناطق المحررة".

وأشار أبو بكر إلى تخاذل هيئة تحرير الشام في معارك ريفي حماة وإدلب، فبدل أن تزج عناصرها بالقتال ضد النظام، قامت بحشد قواتها وتحصين وتدشيم مناطق على خطوط التماس بين مناطق ريفي حلب الشمالي والغربي، منوها إلى إمكانية مشاركتهم في معارك شرق الفرات ضد قسد.

وتشير الوقائع على الأرض أن الجانب التركي قد استنفذ محاولاته السلمية في إقناع هيئة تحرير الشام على حل نفسها، وهو ما تؤكده عمليات التدشيم التي تقيمها الهيئة على تخوف مناطق درع الفرات في خطوة احترازية من عمليات ضدها في المستقبل القريب تزامنا مع انطلاق العمليات العسكرية التركية في شرق الفرات.

لانتقاده لها.. هيئة تحرير الشام تعتقل إمام المسجد الكبير في الأتارب

اعتقلت هيئة تحرير الشام يوم أمس الاثنين، إمام مسجد الكبير في مدينة الأتارب بريف حلب الغربي، وذلك بسبب انتقاده المتكرر للهيئة.

وقالت صفحة انتهاكات جبهة النصرة إن هيئة تحرير الشام اعتقلت الشيخ "عبدالقادر عبيان" إمام ومؤذن المسجد الكبير في مدينة الأتارب من داخل المسجد، لأسباب مجهولة.

وقال ناشطون من ريف حلب الغربي إن هيئة تحرير الشام قامت بفصل الشيخ "عبد القادر عبيان" في وقت سابق بسبب انتقاده المتكرر للهيئة.

من جانبهم أدان وجهاء مدينة الأتارب قيام هيئة تحرير الشام باعتقال الشيخ "عبيان" إمام الجامع الكبير في المدينة، رافضين قرار عزله وطالبوا الهيئة بإطلاق سراحه فورا.

وأطلق ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي في ٦ تشرين الأول الحالي حملة "أطلقوا فارس حلب"، للمطالبة بفك أسر القيادي "أبو العبد أشداء" الذي اعتقلته هيئة تحرير الشام، بعد إصدار مذكرة توقيف بحقه على خلفية ظهوره في شريط مصور كشف فيه عن حجم الأموال لدى هيئة تحرير الشام، لقاء فرضها للضرائب والإتاوات والسيطرة على نسبة كبيرة من المساعدات الإنسانية الواصلة إلى المنطقة، إضافة إلى تحكمها بالمعابر التجارية واحتكار تجارة المواد الغذائية الأساسية والمحروقات.

أيتام سوريا.. حكايات لم تحكَ بعد

وضحة العثمان

يُغرِق أحمد (١١عاماً) وقته غالباً بالرسم، فتراه منكباً على دفاتره وأقلام تلوينه محاولاً الهرب من واقعه إلى واقعٍ أفضلَ يُجيد رسمه وتلوينه بمهارة، فتارةً يرسم لوحة لمنزل ذو باحةٍ واسعة تحيط به أشجار كثيرة، كصورة البيت الذي يحلم أنْ يعيش تحت سقفه، وتارةً يرسم أب ممسكا بيد ابنه، وإذا ترك أقلامه وانفضَ عن هوايته ظل شارد الذهن منعزلاً عمن حوله.

انتقـلَ أحمد مع والدتـه وإخوته إلى تركيـا بعد وفـاة والدهـم قبل أربع سـنوات، لتكـون إحـدى دور الأيتام سـكنهم الجديـد. لم يسـتغرق أحمد الكثير من الوقت حتى أدرك أن الحياة لن تعود لبسـاطتها السـابقة وأنه لن يعود أبداً ذلك الطفـل الغارق باللهو والرسـم، وسرعان ما تحـول إلى رجلٍ صغير يحمل هموم العالم في قلبه.

"سـوف يتـم إبعـادي عـن والدتي وإخـوتي بعد أقل من سـنة ولا أدري إلى أيـن أذهـب، تحاول أُمـي إيجادَ فرصـة عمل أو حـل يجنبنـي البعد عنهم. فوفق قوانين الدار التي نسـكن فيها، فإنـه يتوجب على الأولاد الذكور مغادرة الدار حين بلوغهم سن الثانية عشر ".

لا تختـصر بدايـة حديـث أحمد كل مشـاكله فيقول: "ليس هنـاك مكان نذهـب إليه أنـا وأمثالي مـن الأولاد الذين يعيشـون في دور الأيتام، وليس من السـهل أن تحيـا في بيت لا تملك فيه حرية الحركـة والعيش، ومع هذا فأنا سأخسر السـكن فيه والبقاء قرب أسرتي".

تـروي والـدة أحمـد كيـف دخلت الأراضي التركيـة لتقيم في بيت أمهات الأيتـام، وتشـاركت العيـش مع أسر أخـرى، وحـين بـدأت الحيـاة تزداد صعوبة نتيجة العيش المشـترك بادروا بالطلب من إدارة الدار أن تستقل كل أسرة في سكنها على أمل أن تتمكن من الاحتفـاظ بطفلها، لكـن شروط الدار كانت واضحـة منذ البدايـة ما جعل مطالبهم دون جدوى.

أم أحمـد وأسرتهـا هي واحـدة من أصل 83 ألـف أسرة فقدت معيلها في سـوريا بحسب اليونيسـيف، كما أكد فريق استجابة سوريا في تقرير له عام 2018 أن هنـاك نحـو مائة وتسـعين ألف يتيم في الشمال السوري فقط وما يقارب ستة وثلاثين ألف أرملة، (يقصد بالشـمال السـوري محافظـة ادلـب وريـف حلب الغـربي وريـف حماة الشـمالي، ما عدا مناطق درع الفرات وغصن الزيتون).

مشـاكل الأطفـال النفسـية في دور الرعاية

مشرفة إحـدى دور الأيتـام في مدينة الريحانيـة "عبـير هاشـم" تـرى أن أكثر ما يحتاج إليـه الطفل اليتيم هو الاحتـواء النفـسي والاجتماعي نتيجة للاضطرابـات المعنوية التـي يكابدها بعد خسارته لأحد الوالدين أو كليهما.

وتوضـح المشرفة بـأن الخدمات التي تقدمهـا دور رعاية الأيتـام في جنوب تركيا ليست شاملة، فرغم توفير الدعم المـادي والرعايـة الصحيـة والتعليم والأساسـيات من مسـتلزمات الحياة كالمسـكن والغـذاء، إلى جانب بعض النشـاطات الترفيهيـة والثقافيـة، إلا أنها تفتقر للتغطية النفسـية للأطفال الأيتـام، التي تمكنهم مـن التعبير عما يشـعرون به، وتعيد إليهم الاسـتقرار العاطفي لتجاوز خسارته، مؤكدة أنها رصدت خلال تجربتهـا في دور الأيتام العديـد من المشـاكل النفسـية أولها بحث الطفل وحاجته إلى من يسـتمع إليه ويمنحه الوقت اللازم الذي يسمح للطفل بالبوح بمكنونات نفسه.

وتضيف المشرفة:

"إن حاجـة الطفل للأمان والانتماء إلى أشـخاص يشـعر بحمايتهم وتفهمهم هـي خطـوة أولى في طريق سـلامته النفسـية، والاكتفاء بتقديم السـكن والطعام هي طريقـة قاصرة عن فهم حاجات الطفل اليتيم.

وحذرت الهاشـم من الازدواجية التي قد يعيشها الطفل في دور الأيتام ما بين الدروس والقيم المثاليـة التي يتلقاها وبعض الممارسـات التي تتجاهل ذكاء الطفل وحساسيته.

وتعتبر المشرفـة أن لـدور الأيتام آثار سلبية منها الفقد والحرمان العاطفي، وانخفاض تقديـر الذات لدى الأطفال نتيجـة لعيش الأطفال مع أسرهم تبعا لقوانـين دور الرعايـة، وهو ما يفرض عليه العيش بعدة شخصيات متعددة لإرضاء القائمين على تلك الدور.

وقـدرت الشـبكة السـورية لحقوق الإنسان عدد الأسر التي فقدت معيلها بنحو 82 ألف أسرة، كما فقدت 2300 أسرة أمهاتهـا، كـما تؤكـد منظـمات إنسانية أن نحو 90 بالمائة من الأطفال الأيتام السوريين غير مكفولين".

المرشـدة النفسـية والمشرفة في إحدى دور رعايـة الأيتـام في جنـوب تركيـا "فاطمة حاج موسى" ترى أن خسـارة الأطفـال للدعامة الأولى والسـند لهم المتمثلـة في وفاة والدهـم وما يتبعها من شـعور الانكسـار والخوف، تزداد رسـوخا وهم يرون خوف أسرهم من قوانين الدور.

وتـورد الموسى عـددا مـن عـوارض الاضطرابات النفسـية التي تظهر على الأطفـال الأيتـام في دور الرعاية منها ظاهرة التبـول الـلاإرادي، والميل إلى التنمر والعناد ومشاكل النطق وتأخره.

كما تضيـف الموسى مظاهـر أخرى للاضطرابـات النفسـية تتجـلى في صعوبـة التعلم لدى الأطفـال الأيتام وعدم الرغبة في الذهاب إلى المدرسـة خوفا من نظرة الاسـتعلاء من أقرانهم الأطفال كونهم يسكنون في دور الأيتام، وما يخلفه السـكن المشترك لعدة أسر عاشـت ذات الظـروف مـن ضغوط اجتماعية ونفسية.

وتحدثت الموسى عن أن إدارات بعض الدور فـرض على الأسر من اسـتقبال للوفـود الخارجية لا سـيما الداعمين، وتحملها مسؤولية نجاح تلك الزيارات أو فشـلها، إذ تجبر الإدارات الأسر على بـين أقربائـه، وهـو ما يعنـي فقده للاسـتقرار النفسي والحيـاتي، وهو ما يحظى به في دور الأيتام.

وتستتبع المديرة قولها:

"لكن تكون الدور هي المشـكلة حين تشـجع الأم على التخلي عـن أطفالها، وهو ما يحدث حـين تكون الأم قادرة على الإنفـاق عليهـم لكنهـا لا تريد ذلك، هذه الحالة تتسـبب بالكثير من المشاكل للدار والساكنين بها".

غالبا ما تشكل إدارة سكن عائلات من ثقافـات وعقليات مختلفـة في مكان واحد تحديا كبيرا، لا سيما وأن الجميع يعاني من الضغوطـات والاضطرابات، دورنا يكمن في إيجاد الحلول لمشـاكل السـكن قبل أن تحدث، وجعل الحياة في الدار أفضل ما يمكن بحسب المديرة التي تضيف:

"لكن التحدي الأكـبر والأخطر هو في تقديـم الوجه الأمثـل للحياة في الدار وإخفـاء العيـوب أمام الضيـوف، ما يعلم الطفل المواربة والنفاق وتغليب المصالح على قول الحقيقة.

وتشـير الموسى إلى ثقافـة التواكل على الآخريـن التـي تخلفهـا دور الرعاية في نفـوس الأطفـال، وزرع فكرة أنهم "أيتـام يجب على الناس أن تعطيهم"، وتغييب ثقافة المبادرة والعطاء لديهم.

هـذا ويبلـغ عـدد الأيتـام في مدينة الريحانية التي تقـع جنوب تركيا أكثر من ألف وخمسـمائة يتيم، منهم 990 يتيما يقطنون في قريـة الأيتام التابعة لمنظمة (IHH).

دور الرعاية أهون الشر

مديرة دار بيتي لرعاية الأطفال "ميادة عبدي" اعتـبرت أن لدور رعاية الأيتام وجهان مختلفان، فهي حل ومشكلة في آن واحد، موضحة:

"حين تعيـش الأم وأطفالها الأيتام مع أحد أقربائها (أخوها، أختها..) غالباً ما يتبرم المضيـف بعد فترة من وجودهم الدائـم والمنهـك ماديـا لـه، إضافـة للمشاكل التي تنشأ في ظروف العيش المشـترك، وهـو مـا يدفـع بالمضيف بالبحـث عن حـل يكـون في معظم الأحيان على حساب الضيف".

وتتابع المديـرة: "هنا لا يمكن أن ننكر ايجابية دور الرعاية في تخفيف الضغط النفسي الذي يقع عـلى الأم والأطفال بعـد انهيار معنوياتهـم خصوصا حين تكون الأم معولة على مسـاعدة ودعم مضيفها، وللخروج من أزمتها تلجأ الأم لتسجيل أطفالها بدور الأيتام".

كما ترى المديـرة أن دور الأيتام يمكن أن تكون حلا حين تكون الأم وحيدة في بلد اللجوء ومجـبرة على العمل الذي يكـون في أغلـب الأحيـان في القطاع الزراعـي، ولعدم قدرتهـا على تحمل نفقـات المعيشـة تفضل أن تسـجل أطفالهـا في دور الأيتام التي تضمن لها بقاءهم في الدار خلال سـاعات عملها الطويلة.

كذلك هي حـل للطفل اليتيم إن كان فاقـد الوالدين ويعيش كضيف متنقل توفير التمويـل الدائم للمـشروع، ما يضمـن اسـتمراره في دفـع النفقات وإيواء العائلات والإشراف عليها بشكل جيد".

تدفـع الأعـداد الكبـيرة مـن الأيتام السـوريين بدور الرعاية إلى اسـتبعاد الأولاد الذكور الذين يبلغون 12 عاما، لما لتلك الدور من طبيعة نسـائية، ما يعتبر مشكلة كبيرة لأهل أولئك الأولاد وقـد تجبرهـم في كثـير مـن الأحيان للخروج من الدار للحفاظ على ابنهم.

تسـتمر أعـداد الأيتـام بالارتفاع مع الوقت ليصل عدد المسـجلين بدور إلى أعداد بحجم الكارثـة وقلة منهم من يحصلون على رعاية متكاملة، في حالة وصفتها اليونيسـيف بـ "كارثة بكل المعاني".

خلال ثلاثة أيام في ثلاث مدن تركية.. ثلاث اعتداءات على الأطفال السوريين

في مجمع "السولي" السكني الواقع في حي الميزتلي بمدينة مرسين التركية، وقع شجار بين طفلين في عمر الخامسة أحدهما أردني الجنسية والأخر تركي، وأثناء تدخل الأهل هاجم والد الطفل التركي الطفل الأردني بصفعة قوية تركت آثارها على خد الطفل وأسقطته أرضا ألحقه الرجل بعدها بركلة برجله، كما دفع شقيقة الطفل الأردني والبالغة من العمر ١٥ عاما بشكل عنيف.

عدنان صايغ

بعد حضور والد الطفل الأردني ومحاولته الاستفسار عما حصل هاجمه والد الطفل التركي واعتدى عليه بالضرب، قام بعدها مجموعة من الأتراك المتضامنين مع الأب التركي برشق منزل العائلة الأردنية بالحجارة وتكسير نوافذ منزلهم.

رصد مقطعا مصورا من كميرا لهاتف محموم من أحد الجيران حادثة اعتداء المواطن التركي بصفع وضرب الطفل وشقيقته، ما أثار ردود فعل غاضبة واستهجانا من تنامي العنصرية لدى شريحة واسعة لدى الأتراك، ظهرت على شكل اعتداءات متكررة على الأطفال السوريين واللاجئين بمدن عدة في تركيا.

وقالت محامية العائلة الأردنية "هبة أوكال" في لقاء لها على تلفزيون سوريا إن الحادثة وقعت مساء أمس السبت وتم اعتقال الجاني وعرضه على القاضي الذي حكم عليه بالإقامة الإجبارية في منزله، مؤكدة أن الطفل التركي لم يتعرض لأي كسر في أسنانه كما نشرت بعض وسائل الإعلام التركية.

كما نشرت النيابة التركية معلومات خاطئة حول كسر أسنان الطفل التركي محاولة التخفيف من همجية التصرف الذي قام به المواطن التركي الأمر الذي نفته المحامية بشكل مؤكد.

وأضافت المحامية بأن آثار الصفعة ما زالت على جسد الطفل الأردني وهو في حالة نفسية سيئة مشيرة إلى عدم رغبته بالعودة إلى المنزل أو المجمع السكني الذي تلقى الاعتداء فيه.

إلى ذلك تلقى الطفل "محمد حاج صالح" سوري الجنسية ١١ عام في الصف الخامس طعنة غادرة من شاب تركي في مدينة أورفا جنوب تركيا يوم الجمعة ٤ تشرين الأول بعد سؤال من الجاني وجهه للطفل الذي كان يحاول شراء الطعام من أحد المحال القريبة من مدرسته أثناء استراحة الغداء.

بعد طعنه عاد الطفل جرحه إلى مدير مدرسته طالبا المساعدة، لكن مدير المدرسة اكتفى بتضميد جرحه وإبقائه في المدرسة لأكثر من ساعتين ثم أرسله إلى منزله، وبعد انصراف التلاميذ قام زملاء الطفل السوري باسعافه وحمله إلى "عدلية" أو مركز صحي بالقرب من المدرسة وهناك تم استدعاء الوالدة.

وأوضحت الوالدة في تسجيل صوتي بأن عناصر الشرطة عرضوا صورا لمشتبه بهم على الطفل محمد الذي تعرف على أحدهم مشيرا إلى شبه كبير بمن اعتدى عليه، لكن شرطة المركز قام بتخويف الطفل وأمه بأن عواقب اتهام شخص غير الجاني ستعرض الطفل للسجن والغرامة، ما دفع بالأسرة لعدم تقديم بلاغ ضد الجاني.

وكان الطفل "وائل المسعود" ٩ أعوام سوري الجنسية قد قام بشنق نفسه في ولاية "كوجالي" التركية بسبب الإقصاء والرفض الاجتماعي من قبل رفاقه في المدرسة كونه سوري الجنسية.

وعثر مواطنون أتراك مساء أمس الخميس على الطفل "وائل السعود" مشنوقا على باب مقبرة في قضاء "كارتبه" بالقرب من اسطنبول.

وبعد حضور الشرطة والتحقق من وفاة الطفل والتأكد من هويته نقلت الجثة بعد إخضاعها للتشريح والفحص لتسلم إلى أهله لاستكمال الدفن.

وأكد والد الطفل وأقربائه إلى أن وائل عانى في الفترة الأخيرة من النبذ الاجتماعي من قبل زملائه الأتراك في المدرسة كما تعرض للتوبيخ يوم انتحاره من قبل أحد المدرسين.

تشير الحوادث الثلاث التي جرت في خلال اسبوع واحد إلى تصاعد حدة الكراهية والعنصرية ضد اللاجئين السوريين، لا سيما بعد توجه الحكومة التركية إلى حملات ترحيل وتضييق على اللاجئين السوريين، ظهر الكثير من تلك الممارسات على شكل عنف من قبل رجال الشرطة مارسوه على السوريين أثناء اعتقالهم وترحيلهم.

ثلاثة حوادث في ثلاث مدن متوزعة في غرب وجنوب وشمال تركيا خلال أيام ثلاثة، تؤكد على وجود تسامح حكومي موجه لما يقوم به بعض الأتراك من اعتداءات وممارسات عنصرية ضد اللاجئين السوريين، ومن المرجح أن تتفاقم تلك الاعتداءات إن لم تقم الحكومة التركية بتشديد حماية السوريين لديها، إلا إن كانت تنتهجها كسياسة لتخفيف أعداد اللاجئين لديها.

ويرى البعض أن المجتمع التركي يتحمل إلى جانب المنظمات المدنية والحقوقية في تركيا مسؤولية تخفيف المد العنصري ومشاعر الكراهية التي تسود الشارع التركي ضد السوريين، مؤكدين على أن عاقبة العنصرية ستنعكس على السلم الأهلي التركي الذي سيتجاوز بعنصريته وجود السوري ليرفض كل مختلف عنه فيما بعد.

نتيجة التنمر فضل انهاء حياته على باب مقبرة

تصدر خبر انتحار الطفل السوري "وائل المسعود" وسائل الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعي، وأجمعت الروايات على أن الأسباب التي دفعت بالطفل إلى مثل هذا العمل الصعب هو النبذ الاجتماعي والتصرفات العنصرية ضده أو ما يعرف بالتنمر. دفع هذا المصطلح الجديد على مجتمعنا الكثير من الناس بالسؤال عن معناه، وهل من الممكن أن يوصل طفلاً بعمر وائل إلى الانتحار؟

رهف رزوق

لا تقتصر ظاهرة التنمر على مجتمع أو عرق أو دين معين، بل هي ظاهره منتشرة وبكثرة في جميع المجتمعات وخصوصا باتجاه أطفال الأقليات أو الطبقات الاجتماعية الضعيفة.

رغم أن مصطلح"التنمر" جديد نسبيا، إلا أن المفهوم كان متواجداً تحت مسمى "السلوك العدواني" وسبب اكتسابه صفة (التنمر) بسبب تحول هذا السلوك الإنساني إلى سلوك أقرب للحيواني الذي يقوم على السيطرة والبقاء للأقوى.

يعرف موقع ويكيبيديا التنمر بأنه "كل سلوك عدواني متكرر يهدف إلى الإضرار بشخص آخر عمداً، جسدياً أو نفسياً، بهدف اكتساب السلطة على حساب شخص أخر".

المؤسس لأبحاث التنمر النرويجي "دان ألويس" يعرف التنمر المدرسي بأنه:

"أفعال سلبية متعمدة من جانب تلميذ أو أكثر لإلحاق الأذى بتلميذ آخر، تتم بصورة متكررة وطوال الوقت، ويمكن أن تكون هذه الأفعال السلبية بالكلمات مثل: التهديد، التوبيخ، الإغاظة والشتائم، كما يمكن أن تكون بالاحتكاك الجسدي كالضرب والدفع والركل، أو حتى بدون استخدام الكلمات أو التعرض الجسدي مثل التكشير بالوجه أو الإشارات غير اللائقة، بقصد وتعمد عزله من المجموعة".

ويرى ألويس أن التنمر لا يكون إلا في حالة عدم التوازن في القوة، وأن التنمر حتى يأخذ معناه يجب أن يكون متعمدا ومتكررا، مع وجود فرق بالقوة بين الطرفين سواء جسديا او نفسيا أو اجتماعيا وهذا مايميزه عن المزاح.

"سلمى" إحدى الطالبات في ريف إدلب أجابت حول سبب غيابها المتكرر عن المدرسة عند البدء بمعالجة حالتها من قبل المرشدة النفسية في المدرسة بقولها: "صديقاتي لا يحببنني ولا يلعبن معي وينادونني دائما بالبدينة".

أنواع التنمر

ويصنف المختصون التنمر إلى "التنمر البدني" كإيذاء الشخص الأخر وضربه و"التنمر النفسي" كالقيام بأفعال غير لائقة كالوشوشة والهمز أمام الآخرين، أما "التنمر الاجتماعي" فيكون على شكل نشر أقوال وأفعال غير صحيحة وكاذبة ضد شخص ما بهدف تحقيره وإذلاله.

الطالبة "إيمان .خ" عانت من تصرفات كيدية من قبل زميلاتها في الصف وأبلغت المرشدة النفسية في المدرسة بأن زميلاتها يضعن الأقلام في حقيبتها دون علمها ليتم اتهامها بالسرقة وتمتنع الطالبات عن صداقتها.

"ناهد" إحدى الأمهات التي يعاني ابنها من تنمر بعض الأطفال، ويقومون بالتحرش اللفظي والبدني ضده، وغالبا ما يعود إلى البيت وآثار الضرب بادية عليه، وتؤكد الأم أن العبارات التي يطلقها الأطفال المتنمرون ضد طفلها هي من باب "الأبله الضعيف" و"الجبان" دفعت بابنها إلى عدم رغبته بالذهاب إلى المدرسة.

النوع الأخطر والأكثر انتشارا في الوقت الحالي هو "التنمر الإلكتروني" ويتم عن طريق تصوير الشخص أو الحصول على صور له لابتزازه لاحقاً، أو نشر معلومات مغلوطة عن الشخص المستهدف بغاية التأثير عليه نفسيا ومعنوياً.

وكشفت منظمة اليونسكو في إحصائية حديثة بأن ربع مليار طفل حول العالم يتعرضون للتنمر، كما نشرت منظمة اليونيسيف تقريراً أجري بناء على دراسات داخل المدارس جاء فيه بأن واحد من كل ثلاثة أطفال يتعرض للتنمر.

ويتجلى التنمر بشكل مركز في نطاق المدارس وتجمعات الأطفال لا سيما في مراحل التعليم الأساسي.

أسبابه

أهم أسباب التنمر ناتجة عن المنشأ الذي تربى به الطفل المتنمر، فالأسرة التي يسود فيها العنف المنزلي والصراعات تدفع بالطفل إلى تبني قناعة أن الحكم للأقوى.

كما يتميز الأطفال المتنمرون بالنقص في الجانب العاطفي، فهم في معظم الأحيان مهملون لا يجدون الاهتمام الكاف بهم أوالتواصل معهم، ما يدفعهم للبحث عن وسائل وأساليب يثبتون ذاتهم من خلالها، وقد تحدث هذه الحالات في ظروف غياب الأب والأم لفترات طويلة عن المنزل نتيجة العمل أو غيره.

تضيف التقنيات الحديثة كالتلفاز والإنترنت بما تحمله من مشاهد عنيفة أو ما يعرف بالإثارة في صناعة الأفلام أسبابا أخرى لاعتماد الطفل على ممارسة التنمر، ومحاكاته لهذا على أرض الواقع.

وبالعودة لحادثه الطفل "وائل المسعود" فمن الواضح أنه كان ضحية "صفة لاجئ" التي ترتبط بالفقر والضعف، وتجعل من الأطفال اللاجئين هدفا أكثر من غيرهم للتنمر.

تعبر إحدى الأمهات السوريات اللاجئات في منشور لها على صفحتها في فيس بوك، عن تخوفها مما يلاقيه ابنها من تنمر ورفض في مدرسته في تركيا، إذ يرفض الطلاب الجلوس بجانبه في المقعد كونه سوري الجنسية، وعلقت إحدى الأمهات على المنشور بأنها تعرضت لذات الموقف وفضلت الوقوف بجانب طفلها ودعمه حتى حصل على التقدير من قبل زملائه بعد تفوقه.

ويتسبب التنمر بعقد نفسية لدى الطفل المستهدف، كما يدفعه التنمر إلى كره المدرسة والانطواء والعزلة والخوف من الأطفال الغرباء وفقد الثقة بنفسه وقد يؤدي به إلى الإكتئاب، وإذا لم تعالج المشكلة في مرحلتها المبكرة فقد تتطور تدريجيا وربما تصل بالطفل الى الانتحار كما حدث مع الطفل وائل.

تؤكد إحدى الدراسات الإحصائية إلى أن انتشار الانتحار عند الأشخاص الذين يتعرضون للتنمر أكثر بـ ٩ مرات من الأشخاص العاديين.

ونتيجة لخطورة التنمر والحد من انتشاره قامت كثير من المنظمات بإطلاق مبادرات للتوعية بمخاطره وأسبابه، منها مبادرة منظمة اليونيسيف والمجلس القومي للأمومة والطفولة التي حملت اسم "أنا ضد التنمر"، كما تم صناعة أكثر من فلم حول التنمر وكيفيه مواجهته كفيلم "نقافة" وفيلم "لا للتنمر".

طرق التخفيف والمعالجة

وفي محاولتهم للتخفيف من حدة الظاهرة يتوجه المرشدون النفسيون والاجتماعيون بالدرجة الأولى نحو أسرة الضحية التي يقع على عاتقها العبء الأكبر في معالجة الطفل، وذلك من خلال تشجيعه على التعبير عما يمر به وما يتعرض له، وملاحظة أي تغييرات تطرأ على طفلهم كالعزلة والانطواء أو أي أثار ضرب أو تعنيف، وتقديم المساعدة لزيادة ثقة الطفل بنفسه ورفع تقديره لذاته ومساعدته للقيام بأمور ايجابية وتنمية مواهبه.

كما يقع على عاتق أسرة الطفل المتنمر مسؤولية تصويب المفاهيم الخاطئة لديه في إيصال المفهوم الحقيقي للقوة، وأن الشجاعة والمقدرة تكمن في احتواء الضعيف والقدرة على حمايته وليس التسلط عليه.

وتقع على إدارة المدرسة فتح قنوات التواصل بين الطرفين، والاستعانة بمختصين اجتماعيين في حالة ورود شكاوي من الأهالي تفيد بتنمر بعض الطلاب على أبنائهم، وإطلاق حملات توعوية لتعليم الأطفال على استنكار واستهجان هذه السلوكيات ورفضها.

ومن المؤكد أن الطفل وائل لم يكن ليقدم على الانتحار لو وجد من يحميه التنمر، لكنه ضاع في زحمة اللجوء ففضل إنهاء حياته على باب مقبرة.

سوء التغذية والتعرض للسموم.. أبرز أسباب تأخر النمو لدى الأطفال

كانت ليلة باردة من شتاء عام ٢٠١٤، تحلقت أسرة "محمد ديب" في منزلهم حول مدفأة الديزل التي يحب السوريون السهر حولها، وبينما كانت زوجته ازدهار وأمه تتجاذبان أطراف الحديث، كانت "القبضة اللاسلكية" الملازمة للجميع في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام حاضرة.

يمامة الأسعد

صوت المرصد في مدينة اللطامنة بريف حماه الذي يحذر الأهالي من توجه الطائرات نحو مدنهم وبلداتهم بدأ يصدر من القبضة بشكل مفاجئ بإعلان عن "قذائف من الجنوب باتجاه الشمال"، لم تكن ازدهار تعلم أن القذيفة ستنفجر بينهم، وعلى حين غرة تحول الليل إلى نهار، ومن ثم فقدت الوعي، حين فتحت عينيها لم تبصر سوى الظلام، حاولت ازدهار أن تتنفس لكنها بالكاد استطاعت أن تستنشق شيئاً من الهواء المشبع بالتراب والبارود، ولما أرادت أن تتحرك وجدت أن سقف البيت يجثم على جسدها محطماً عظامها.

بعد أن تعافت ازدهار من الكسور والجروح لكنها فقدت زوجها وأمه، غير أن خسارتها لم تنته هنا، فلدى إجراء التصوير الإشعاعي لها تبين بأنها حامل في شهرها الأول، وأثناء مراقبة الحمل أكتشف الأطباء أن الضغط الذي تعرض له جسدها في الحادثة تسبب في حدوث تشوه لدى الجنين.

مع اقتراب موعد الولادة لم يكن جسد ازدهار ووضعها الصحي يسمح بولادة طبيعية، فأجريت لها عملية قيصرية لاستخراج المولود، كانت طفلتها الأولى والوحيدة من زوجها، لكن مع مرور الأيام راحت عوارض التأخر في النمو العقلي تظهر على الطفلة.

تقول ازدهار: "منذ أن كان عمر ليان عام واحد كانت لا تستجيب للنداء ولا تتكلم أبدا وتبكي باستمرار، وحين بلغت الثالثة صارت عدوانية ومنعزلة ولا تلعب مع الأطفال".

تؤكد ازدهار أنها مستعدة للتسول مقابل تأمين علاج ابنتها ليان بعدما طمأنها الطبيب إلى أن حالتها يمكن أن تتحسن شرط متابعة العلاج.

أحد الأطفال المصابين بتأخر النمو في أحد مشافي إدلب – جريدة زيتون

"مصطفى الموسى" طفل في السادسة من عمره من بلدة احسم تقول معلمته "كان شبه فاقدا للإحساس بمحيطه، لديه نظرة ساهمة، تتراوح ما بين نظرة المدرك الواعي وما بين المستغرب الذي لا يدرك ما يدور حوله، يستجيب ببطء لمناداته، يطيل النظر كطفل صغير، ولا يستوعب ما يقال له".

وتضيف المعلمة:

"حاولت دفعه للعب مع رفاقه، لكنه ظل منعزلا ووحيدا، أدركت حينها أنه يعاني من مشكلة، وحين تحدثت إلى والده أخبرني أنهم لاحظوا تأخره عن أقرانه بالمشي والكلام منذ الصغر، وحين مراجعة الأطباء أكدوا لهم أنه يعاني من تأخر في النمو".

يعرف تأخر النمو بأنه تأخر مؤقت أو دائم في مجال واحد أو عدة مجالات في نمو الطفل العاطفي والجسدي والعقلي وذلك بحسب المركز الأمريكي لطب الأعصاب والصحة النفسية.

أعراض المرض

وعن أعراض مرض تأخر النمو تقول الطبيبة المختصة بالأطفال "عبير شبب" لزيتون: "قد يشير مظهر الطفل وجسده إلى حالته المرضية كشكل الرأس أو العيون الغير الطبيعية، ونمو الأطراف بشكل غير متناسق مع الجذع، بالإضافة إلى بطء ردود أفعاله مترافقا بمشاكل عصبية، فضلا عن وجود مشاكل في اللغة والحركة والمهارات الاجتماعية والاختلاط مع الأطفال".

الأسباب

ويضيف طبيب الأطفال "إسماعيل الخطيب" بأن سوء التغذية والتعرض للغازات السامة هما من أبرز العوامل التي تسببت بازدياد أعداد الأطفال المصابين بمرض تأخر النمو في الغوطة الشرقية.

ويؤكد الطبيب لزيتون أن أعداد الأطفال المصابين بالمرض وصل ٣٠٠ حالة شهريا، وذلك خلال عمله في الغوطة الشرقية عام ٢٠١٥، موضحا أن استهداف النظام السوري للغوطة الشرقية بغاز السارين عام ٢٠١٣، واستمرار الحصار منذ عام ٢٠١٣ ولمدة خمس سنوات، لم تظهر أثرها حتى عام ٢٠١٥.

وبحسب الخطيب فإن الأعداد الكبيرة التي كانت تصلهم شهريا دفعت بمنظمات تابعة لليونيسيف بالقيام بحملة عام ٢٠١٦ لمكافحة مرض تأخر النمو، قامت فيها بزيارة المنازل لرصد الحالات، وتمكنت الحملة من خلال إدخال الأدوية اللازمة للحد من انتشار المرض، رغم الأعداد التي فاقت قدرة الفريق ورغم الحالات التي لم يكن بالإمكان الوصول إليها.

كما ساهم الحصار الذي فرضته قوات النظام على مدن وبلدات الغوطة الشرقية وما رافقه من تجويع للأهالي من زيادة أعداد الأطفال المرضى، لا سيما الأطفال الذين هم دون الخامسة نتيجة لسوء التغذية الذي تعرضوا له.

العلاج

تشير الطبيبة عبير إلى أهمية الكشف والعلاج المبكر للطفل المصاب بتأخر النمو، إذ يتم إجراء فحص الدم لعدة أشهر كي يتم تحديد الخلل المرتبط بنقص النمو، كما تستخدم الأشعة السينية لتحديد نضج وعمر العظام وإمكانية تطورها، وعبر إخضاع الطفل لاختبارات وفحوصات تقيم حالة الطفل وأسباب تأخر النمو، ليتم بعدها وصف العلاج المناسب له.

وتوضح الطبيبة أن العلاج تحدده أسباب المرض، ولكل سبب علاجه الخلاص، وقد تترافق عدة أسباب معا، ما يتطلب علاجا مركبا كمعالجة النطق مع المهارات الحركية.

وينصح الأطباء بمراقبة الأطفال في السنوات الأولى من عمرهم، وفي حال ملاحظة وجود تأخر في نمو إحدى الوظائف الحيوية أو الأنشطة العقلية أو الحركية، يجب استشارة الطبيب على الفور، فالتشخيص المبكر يزيد من فرص نجاح علاج تأخر النمو.

بعد القصف.. قلة المختصين وكثرة الازدحام أكبر مشاكل صحة الأطفال

يتميز القطاع الصحي في الشمال السوري عن باقي القطاعات الخدمية بالتنظيم والإدارة والفعالية وهو ما أثبته خلال السنوات الماضية رغم ما يشارك فيه باقي القطاعات من مصاعب وربما بشكل مضاعف، وذلك لما تتعرض له المشافي والنقاط الطبية وكوادرها من استهداف متعمد من قبل سلاح الجو السوري والروسي.

غادة باكير

كما يتعرض القطاع الطبي لاعتداءات من قبل هيئة تحرير الشام الفصيل المسيطر على محافظة إدلب، إذ تقوم الهيئة باعتقال الأطباء واقتحام المشافي دون اعتبارات لحرمتها، واعتقال المصابين من داخل المشافي، والاستيلاء على تجهيزاتها في بعض الأحيان، ما دفع العاملين في القطاع إلى تعليق عملهم أكثر من مرة كان أخرها تعليق عملهم احتجاجا على حادثة الطبيب عثمان الحسن الذي تعرض لإصابة في قدمه والاعتداء عليه وعلى كادر المشفى أثناء علاجه ومن ثم اعتقاله كل ذلك من قبل تحرير الشام.

الاستهداف المتكرر للمشافي وما رافقها من خروج عشرات النقاط الطبية عن الخدمة دفع بالأمم المتحدة لتشكيل لجنة تحقيق أممية معنية بسلسلة من الهجمات على مستشفيات محافظة إدلب.

وكتبت مراسلة صاندي تايمز "لويز كالاغان" في بداية شهر أيلول الحالي تقريرا من مستشفى إدلب المركزي يكشف القصف المتواصل طوال شهر من قبل القوات السورية وحليفها الروسي خلّف مئات القتلى من المدنيين، والكثير منهم أطفال.

وأشارت المراسلة إلى أن طائرات القوات الحكومية وحليفها الروسي تستهدف بشكل ممنهج المشافي، مؤكدة أن أكثر ٤٨ مركزاً طبياً قد استهدفهم الطيران الحربي وتسبب في مقتل أكثر من ٨٦٢ مدنيا منهم ٢٢٦ طفلاً.

خصوصية مشافي الأطفال

لكن القطاع الصحي الخاص بأقسام الأطفال لاقى خلال السنوات الماضية الكثير من الانتقادات التي أشارت إلى قلة المعدات والأدوية والمرافق الخاصة.

مسؤول المشافي في مديرية الصحة في محافظة إدلب "يحيى نعمة" تحدث لزيتون عن عدم كفاية أسرة العناية بالأطفال وعدم تلبيتها سوى ١٠٪ من حاجة المشافي.

وأضاف مسؤول المشافي:

"لدينا نقص واضح في أجهزة التحاليل والأدوية والمستلزمات الطبية الخاصة بمشافي الأطفال وخاصة بالأمراض النوعية التي تخص الأطفال الخدج وحديثي الولادة".

ويؤكد المسؤول على افتقار القطاع الصحي في محافظة إدلب إلى أقسام العناية وأجهزة التنفس في غرف العناية المشددة للأطفال وأدويتها واللازمة والحاجة الملحة إلى دعم أعداد الكوادر، موضحاً أن المحافظة لا تحتوي إلا على مستشفيين اثنين فقط هما "مشفى الشام" في سرمدا و"مشفى ابن سينا" بإدلب حيث يوجد متخصصين بالأطفال وتتوفر عنايات وعزل وأطباء على مدار الساعة.

وتقوم دور الرعاية الصحية الأولية المنتشرة في المدن والبلدات بتخفيف الضغط عن المشافي بما تقدمه من خدمات طبية عبر أطباء مختصين بطب الأطفال، إذ تستقبل الحالات البسيطة والمتوسطة وتحول ما تعجز عن علاجها وفق "نظام الإحالة" إلى المشافي التي تتوفر فيها الرعاية المطلوبة.

مركز الرعاية الصحية الأولية في الدانا

يوجد في مدينة الدانا عدداً لا بأس به من المشافي والمراكز الطبية، وربما تكون من أكثر مدن المحافظة احتواءً للمراكز الصحية، إلا أن هذه المشافي والمراكز الطبية الموجودة في المدينة، جميعها تتبع للقطاع الخاص، باستثناء مشفى حريتان الخيري، ما دفع ببعض المنظمات الداعمة لإنشاء مركز الرعاية الصحية الأولية لتقديم خدمات مجانية للأهالي في مدينة الدانا والقرى المجاورة لها.

مدير مركز الرعاية الصحية الأولية في مدينة الدانا "محمد مؤيد الصغير" قال لزيتون: "يضم المركز عدة عيادات منها عيادة للأطفال، ويستقبل المركز ما يقارب ٣٠٠٠ مريضا خلال الشهر الواحد، كما يقدم الأدوية المتوفرة لديه بشكل مجاني".

"يوسف المحمد" أحد مراجعي المركز قال لزيتون: "هناك نقص كبير في الأدوية لدى المركز، ونضطر لشراء معظم الأدوية، من الضروري دعم المركز بالأدوية ولا سيما الأدوية الخاصة بالأطفال، ذات الأسعار المرتفعة".

بينما اشتكى "محمد ماجد عبد الله" أحد مراجعي المركز من قلة عدد الأطباء في المركز، وكثرة عدد المراجعين له.

الطبيب المعالج في مركز الرعاية الصحية الأولية بمدينة الدانا "فادي السوسي" تحدث عن مشكلة مساحة المركز الصغيرة، التي لا تسمح بالتوسع وافتتاح عيادات جديدة، منوهاً إلى حاجة المركز لمواد التخدير وبعض الأدوية ولا سيما أدوية الأطفال.

مشفى النور في تفتناز

يستقبل مشفى النور في مدينة تفتناز بريف إدلب نسبة تقدر ٣٥٪ من عدد الأطفال المرضى في قسم الأطفال أي ما يعادل ٥٠ طفلاً خديجاً في الشهر الواحد وذلك بحسب مدير مشفى النور "بديع صبحة".

يواجه المشفى ضغطاً كبيراً بأعداد المرضى نتيجة لاتساع المناطق التي يغطيها في ريف إدلب الشمالي والشرقي، بالإضافة إلى ريف حلب الغربي والجنوبي

كما تمثل مشاكل كنقص الكادر الطبي، وعدم وجود بعض التخصصات النوعية مثل اختصاص أطفال عصبية أو أطفال كلية أو أطفال قلبية، بالإضافة لنقص التجهيزات الطبية المتطورة أهم التحديات بالنسبة للمشفى بحسب مديره.

ويشير مدير مشفى النور إلى نقص العديد من الأدوية الضرورية اللازمة لقسم الحواضن مثل الأدوية اللازمة لتحسين الوظيفة التنفسية للخدج، وصعوبة في تأمين الأدوية اللازمة لعلاج مرض "التهاب السحايا" الذي شهد ارتفاعا في عدد الأطفال المصابين فيه، حيث تقدر حاجة المشفى الشهرية بـ ٧٠٠ (فيالة) وهو مضاد حيوي ذو سعر مرتفع يحتاج إليه الأطفال المصابون بالتهاب السحايا بكميات كبيرة، ويشكل شراؤه من قبل الأهالي إرهاقا ماديا لهم.

ويعزو الطبيب "بديع صبحة" العدد الكبير من الأطفال المرضى بسوء التغذية إلى ظروف الحرب والفقر المنتشر بين الأهالي وحالة النزوح عجز بعض الأمهات عن إرضاع أطفالهم الحليب الطبيعي أو الصناعي بسبب سوء الوضع المادي، فيلجأن لإرضاع أطفالهن مشروبات نباتية كاليانسون أو مسحوق النشاء أو حليب البقر للأعمار الصغيرة، ما يظهر أثره بشكل ضار على الحالة الصحية للأطفال وخاصة الرضع.

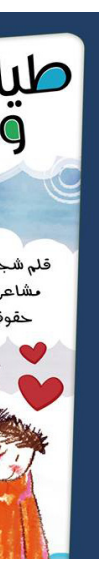

ابنة دير الزور الشاعرة سميرة بدران لزيتون:

بعد أن انتشر الموت في الأزقة والحارات، صار الهم أكبر ولم يعد الكلام يفيد

من ضفاف الفرات الى مدينة غازي عينتاب، رحلة قطعتها الشاعرة سميرة بدران أولى اللواتي وقفن على منبر الشعر الأنثوي في مدينتها، لتروي قصة عشتار التي سكنتها حتى صوبت تفاصيل حياتها بما يتناسب وقدسية هذه الآلهة التي جعل منها الدارسون سيدة المتناقضات.

دير الزور المنسية منذ الأبد، الطيبة، الحنونة، المؤثرة، والصامدة، النائية كما سماها السوريون، تحزن، لبعدها عن المدن الحاضرة أخواتها، لعل حزنها توزع علينا نحن أهلوها بالتساوي، خاصة وأن هذا البعد وما ترتب عليه من طقس متقلب ومناخ صحراوي، أكسبنا متناقضات كثيرة ومزاجية تختلف عن أخوتنا في المدن الأخرى. ليس حزناً ماتقرأه بين كلماتي، ربما هو العتب ليس إلا.

– بين كل هذا الزحام والركام السوري من هي سميرة بدران؟

أنا امرأة من رمل
على سلم ريح
صوت.. وصدى
يشكّلني فراغٌ بجسد أخرس
إلا من حروف بلا نقاط
ورجع صليل
لأصفاد دُقَّت في رأس حلمي
أنا امرأة ملّت الهمسَ
والحبو.
وآثرت الصراخ والعدو
فالألوان ماعادت هي الألوان
وضفتي المعقودة على كتف الفرات
يفصلني عنها دهر من الانكسار
وجيشٌ من الغدر والقطيعة
أصرخ.. لأحيا
علَّ (هُبَلهم)
يخرج من حيِّز خيبته
معلناً شرف الهزيمة..
– كيف تعرفت بنت الفرات الى عشتار؟ من هو العراب الذي دلك الى شياطين الحب والشعر؟

منذ أن تجولت في عوالمها تلبّستني، كان ذلك في بداية شبابي، قرأتها طويلاً حتى ارتويت، لكن قراءتي كانت تأخذني دائماً إلى الخصب والبذل والعطاء والربيع والجمال.. من هنا نمَت في داخلي حتى جعلتني هي..
أذكر أمسيّة لي في حلب (نادي شباب العروبة) ألقيت قصيدة لي تغنيت بعشتارتي وسبحت في عوالمها.. فوقف فنان تشكيلي مشهور قائلاً: أقسم أن عشتار القرن العشرين أمامي.. إنها تأسرني وتدخلني طائعاً لعوالم عشتار البابلية.
كنت أزداد زهواً وتعلقاً بها.. حتى أنني صرت أصوب تفاصيل حياتي بما يتناسب وقدسية هذه الآلهة التي جعل منها الدارسون سيدة المتناقضات.

عشتار سيّدة الحضورِ
أميرة اللهفات
فاتحة الجنون الحُلوِ
أغنية العذوبة
والخصوبة
والتكامل
والنقاء
عشتار مبتدأ القصيدة
حين يهمس وقتها:
حان الوصال ولاحبيب هنا
يبوح بما يخامره، ولاقمرٌ
يضيء
لاشيء يبدو غير متَّسع
الفراغِ ، يتيه مختالاً
بدفءٍ لايجيءُ !!

أما من دفعني لاقتراف الكتابة والشعر فأنا أرى أن هذا الدرب هبة وقدر، إذ كتبت أولى قصائدي وأنا في االصف السابع، قبل أن أتجه لالتهام كل ما تقع عليه عيناي من الشعر قراءة وتـذوقـاً، لكن فـدوى طوقان وهند هارون ونازك الملائكة كن معي دائماً، أما محمود درويش ونزار قباني فأهيئ طقس قراءتي لهما كل مرة حباً وشوقا، لي خطي الذي يختلف عنهم جميعاً ويتفق معهم جميعاً.

– تبدو الرغبة جامحة في كتاباتك للحرية والانعتاق من موروثات المجتمع، الى أي حد سجنتك تلك التابوهات، وكيف كيفت القصيدة لتقولي مالا يقال؟

كنت أول من وقفت على منبر الشعر الأنثوي في مدينتي التي تنام على كتف الفرات وتجنح إلى البساطة والهدوء، ففي عام ١٩٨٦ وعلى مسرح المدينة الصغيرة ألقيت أولى قصائدي بجرأة لم يعهدها أهلوها الطيبون، نعم هي جـرأة، وقفتي هذه كانت الخطوة الأولى في الانعتاق من الكثير من القيود البالية، دعم أسرتي لي واهتمام والدي ودعمه المستمر كان التميمة التي جعلتني أتخطى كل العقبات التالية.
ولأن الثقة الكبيرة والدعم القوي مسؤولية واعتبرتها تكليفاً لي، عملت على صقل موهبتي ووسعت في مساحة ثقافتي الأدبية.

أيقنتُ
-هذا ما يقول الوردُ في روحي-
بأنَّ الوقتَ مبذولٌ
وأنَّ دمي الموزَّع في
خلايا الوجد
مهما خاتل الذكرى .. شهيدُ !!
أيقنتُ دوماً أنني سأظلُّ
أمعن في العناد الحلو
أسرجُ صهوتي في الريح
أحتلبُ الرؤى
ليفيض في دمي القصيدُ..!!
كان يشغلني الهم العام كثيراً، لكن طرق بعض الأبواب محظورة، ودخولها مخاطرة، لذلك لففت خطابي ببعض الرمزية، وغلّفت صوتي بكثير من الخيال، خاصة وأنني تعرضت أكثر من مرة بعد بعض الأمسيات للاستجواب والمساءلة من قبل النظام الحاكم.

طوبى لمجدك يا مدينه
طوبى لجرحٍ
يستفيق الآن مشتعلاً
بدفِ دمٍ
ويركضُ في حواريكِ الحزينه
لكَ أن تشاكسها
وتدخل في مقابرها الهزيلةِ
ثم تفرح بالهزيمه
لك أن تضمَّ إلى اليتامى
ماتبقَّى من ممالكك
اليتيمه..!!

أما في بناء القصيدة فقد كنت أشعر أن العمود كان قيداً ثقيلاً، لذلك اتجهت إلى شعر التفعيلة الذي كان يستوعب كل ما أريد البوح به بحرية، رغم أنني كتبت الشعر العمودي أيضاً.
قالت حَذامُ ولم يصدِّقها أحد:

قالت أرى شجراً يسيرُ
أرى دماً حلواً يسيل
ثم يبحثُ عن مددْ
قالت حذامُ ولكن
لم يقم سيفٌ،
ولم ينهض بلدْ..!!

– يقول البعض إن الشاعرات نساءً متمردات وجريئات، وإبداعهن انحراف محرم، فلا يحق لهن مايحق للرجل؟

ربما هو الفهم الخاطئ للإبداع، الفهم الخاطئ للأدب، والمقولة الأزلية (المرة مرة والرجل رجل) التي زرعت في ذات المرأة الشعور بالظلم، وفي ذات الرجل الغرور والتسلُّط، المرأة تحت الضوء الساطع من قبل الرجل في مجتمع ذكوري، كل ماتقوم به محسوب عليها ومحاسبة عليه، إن دخول مجال الأدب مثل كل المجالات الأخرى لا يختلف عنهم بشيء، لكنه يتوجه إلى كل شرائح المجتمع ويتلقاه الجميع وهنا يبدأ التشريح و التقييم.

الشعراء يعتلون المنابر، يتغزلون ويوغلون في الوصف والتغني، وهو أمر عادي في مجتمع يعتبر صوت المرأة عورة، فكيف بوقوفها على منبر!.

قيل عني يوماً متمرِّدة رغم أني لم أدخل في ميادين التغزل أو التغني بالحبيب، وعانيت كثيراً حتى استطعت أن أجد لي موطئ قدم في عالم يلغي النساء المبدعات الحقيقيات، ويرفع من نساء لايمتلكن الموهبة ولا الثقافة لغايات ترضي غـرور المتثاقفين القائمين على الأمر و القرار والسلطة.
خلعت قميص بهائها
توقاً لدفءٍ .. وانعتاقْ
رسمت –وقد طفح الترقُّبُ-
وردتين
على مسار حبيبها
ومضت يرافقها
انكسارٌ ذابحٌ
ويحفُّ لهفتها احتراقْ!!

– هل ساعدت الثورة على ايجاد دوراً أكبر لحضور المراة في الحياة الأدبية أم العكس وهل ترين كشاعرة وأديبة أن هنالك فرقاً حقيقياً بين أدب نسائي وأخر ذكوري؟

الثورة أبعدت المرأة ولم تساعدها على الإبداع وتطوير الذات، فحضور المرأة كان في النكبات والمجازر وتحملت الـدور الأكبر في لملمة شتات أسرتها، إنهيار المجتمع بدءاً من الأسرة هو ما شغل النساء في سورية، همومها كانت أكبر من نص أدبي تقدمه لمجتمع همه الأكبر الحياة والوجود والخبز.

في بداية الثورة حاكت بعض النساء الأهازيج المحرضة والداعمة وأنا منهن، لكن بعد أن انتشر المـوت في الأزقة والحارات، وعم الخراب كل بقعة في الوطن، صار الهم أكبر ولم يعد الكلام يفيد، الصدمة جففت الحبر، وقدسية الدم الذي سال أفقدنا القدرة على الكلام، نتفٌ من العبارات تنسل بين حين وآخـر، لا تعبر عما يختنق في الصدور من وجع.

– ما التفاصيل الصغيرة تلك التي تفتقدينها وأنت بعيدةً عن الفرات وسوريا؟

أفتقد مكتبتي وهو افتقاد مرٌّ للغاية، ثم كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة الأخرى، لكن ما يطفئ نار افتقادي، الغياب الـذي ألمّ بمجتمعي الصغير هـنـاك، ذهـب الكثير مـن الصحب والأهل والجيران بين مهجر ومفقود ومعتقل وشهيد، وبات كل ما هناك ممجوجاً بدونهم، تهدأ النفس عن شوقها وتعاف النفس كل ما دونهم، ولهذا أقول:

(نزفَ الغَرَبْ)
سالت دموعُ الحَوْرِ دافئةً
ومالحةً .. وفاضت في المدى آهُ العتب
هل غابَ (فرسان القصيدة)؟
هل أصاب (الزورَ) وهنٌ أو تعبْ؟
نزف الغَرَبْ
وبكى الفراتُ ..بكى
وسال نجيعه دمعاً
تهدهده المواسمُ ،
غربةً تختالُ داخلها
اختلاجات اللهب..!!

– هل استمرت سميرة بدران بالعمل الثقافي في بلاد اللجوء وأي المواضيع هي التي تناولتها؟

هنا في تركيا كنت من مؤسسي ملتقى حـران الأدبي وهـو يجمع جنسيات الأدباء المختلفة، هدفه تقديم الحضارة الاسلامية والأدب العربي بأبهى صورة، كما أنني أدير المكتب الثقافي في هيئة السوريين في أورفة، وأساهم مع فريقي في بناء الجسور للمحافظة على الأدب السوري ودعم الثقافة الثورية، شاركت بأمسيات شعرية في ذكـرى انطلاقة الثورة وأخرى لمنبر الشام في عينتاب عن حصار المدن، وللحصار الخانق في دير الزور قمنا بحملات لفك الحصار وكان لي قصائد بهذا الخصوص منها:
أشدُّ البطن خاوية وحلمي
تقاسمني رغيفك في الخيال
لعابي كم يسيل إليه توقاً
وقلبي هدَّه جمر السؤال
وفوق الجوع ذلٌّ واحتباس
حصار الروح يفتك بالرجال
شداداً كان أهلي قبل حولٍ
وجور الرحم بدَّلهم لحالِ
يؤدون الضريبة كلَّ نبضٍ
ثقيلاً كان دينهمُ .....
وغاااااالي
أنا من خبرتُ الجوعَ والذلَّ الممضَّ
وعرفتُ مايُشقي الطريد هناك
من وجعٍ ومن خوفٍ
ومن قلق المصير على المصير
لي مُضغة الشعر التي بفمي
ولي حلم الترقُّب بالنهاية والنشور
فأنا المغني... الطريدُ بعرفهم
أنَّى التفتُّ أو ابتسمتُ
أو انطلقتُ
أو انكفأتُ
فإنَّهم كالموتِ
إنَّ الموت أهونُ من ترقُّبه المرير...!!!

– في الختام نود أن نفهم سر هذا الحزن في نصك؟ أهو بسبب ذاك النهر الذي ظل يفيض بكل تاريخ اوجاعه؟

بل لأن ما يحيط بنا يشي بكل هذا، لعل الشفافية التي منحني إياها الله هي السبب، الفرات رغم مايوحي للآخرين به من حزن إنما هو الفرح المقيم، هو السكينة والهدوء الرباني المقدس.

دير الزور المنسية منذ الأبد، الطيبة، الحنونة، المؤثرة، والصامدة، النائية كما سماها السوريون، تحزن، لبعدها عن المدن الحاضرة أخواتها، لعل حزنها توزع علينا نحن أهلوها بالتساوي، خاصة وأن هذا البعد وما ترتب عليه من طقس متقلب ومناخ صحراوي، أكسبنا متناقضات كثيرة ومزاجية تختلف عن أخوتنا في المدن الأخرى.
ليس حزناً ماتقرأه بين كلماتي، ربما هو العتب ليس إلا.

مهووس بالتناظر

بدأب شديد يواصل ابن السبع سنوات هوسه في ترتيب الأشياء ومناظرتها، ويحرص على وضع المقابل لكل شيء، لا سيما لأطراف ألعابه المفضلة التي يجسدها أبطاله الخارقون، كـ "سوبرمان وباتمان".

تحرير زيتون

بتفاصيل مختلفة وقاسية يشارك الطفل "مأمون خطاب" العديد من الأطفال السوريين خسائرهم نتيجة الحرب في سوريا، بعد أن حرمته حقه في الحركة واللعب.

فمنذ عام وفي صبيحة يوم عادي، كان مأمون يلعب مع بعض الصبية بجانب منزله الواقع في منتصف السوق بمدينة أريحا بريف إدلب بينما كان والديه بالقرب منه يحادثان أحد الجيران الباعة، ليصل إلى آذان الجميع صوت طائرة حربية قريبة.

يذكر مأمون كيف صرخ أبيه خوفا عليه كي يدخل المنزل، لكن صوتا قويا كان أعلى من صوت والده طغى على المكان، وأحال الشارع المكتظ بالناس إلى فوضى وركام، تناثرت على إثره الحجارة وطاولات البيع الخضار وكل ما كان قبل قليل ينبض بالحياة إلى هباء.

أسفر الصاروخ الفراغي الذي أطلقته طائرة تابعة لقوات النظام السوري عن مقتل عدد من المدنيين، من بينهم والدا مأمون، وإصابته بشظية في فخذه فقد على إثرها ساقه اليمنى، ليغدو في لمحة عين يتيما مبتور الساق.

يقول الطفل مأمون لزيتون إن خاله جمال حاول أن يبحث عن جهة يمكنها أن تقدم له طرفا صناعيا، لكن لم يجد من يقدمها لهم، ولا يزال حتى اليوم يراوده الحلم بأن يتمكن مجدداً من المشي.

وبوعي مبكر يدرك مأمون صعوبة الحصول في وقت قصير على طرف صناعي يعيد إليه اللعب والجري مع رفاقه، تأتي الصعوبة من التكلفة الباهظة للأطراف الصناعية والتي تصل إلى ١٥٠٠ دولار أمريكي، كما تخضع عملية تركيب الطرف في المراكز المختصة إلى ترتيبات طويلة.

ويقول المدير الإقليمي لليونيسف خِيرْت كابالاري: "في حالات النزاع ، يكون الأطفال ذوو الإعاقة من أكثر الفئات هشاشة".وأضاف:

"غالباً ما يحتاج هؤلاء الأطفال إلى علاج وخدمات متخصصة. تختلف احتياجاتهم كأطفال عن احتياجات الكبار. إذا لم يحصلوا على الخدمات والمدارس ووسائل المساعدة مثل الكراسي المتحركة، فإن العديد من الأطفال ذوي الإعاقة يواجهون خطرًا حقيقيًا بالإقصاء والإهمال والوصم مع استمرار هذا النزاع الذي لا ينتهي".

في بيت خاله يهتم الصغير بترتيب ثيابه، ويحاول وهو منهمك في طيهم بمراعاة الأكمام للقمصان، ويتوقف أحيانا عند أرجل البنطال، لا سيما الأيمن منه.

٨٦ ألف سوري بترت أطرافهم بحسب تقرير لمنظمة الصحة العالمية قبل عامين، رقم متواضع مقارنة بحجم الطلب الذي تشهده مراكز تركيب الأطراف الاصطناعية ومنها مركز الخطوات السعيدة في الشمال السوري، ما يشير إلى حجم الكارثة.

"بابا شيلني" مقطع مؤثر تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي بكثرة، لطفل يدعى "عبد الباسط السطوف" بتر القصف الجوي له ساقيه، في إحدى مناطق ريف إدلب، يهرع الأب لحمل أبنه وهو يصرخ عمن يساعده، ليتركه على الأرض باحثا عن مسعف.

الأب وهو يحمل الطفل عبد الستار في الانفجار – انترنت

وكان الطفل عبد الباسط قد نزح مع أسرته من بلدته "زور الحيصة" بريف حماه إلى بلدة الهبيط في ريف معرة النعمان عام ٢٠١٧، على أمل أن يجدوا الأمان، لكن غارة من الطيران المروحي استهدفت منزلهم الجديد ببرميل متفجر، توفيت والدة عبد الباسط وشقيقته وابنتها كما بترت ساق شقيقته الثانية.

لا تقتصر خسارة الطفل على طرفه إذ تمتد الخسارة لتنال من نفسه من خلال اضطرابات أولها "مرض الشح" وشعور الطفل باستمرار وجود العضو المبتور لا سيما في الشهور الأولى من البتر، وينتابه شعور بالحكة والألم بالطرف المبتور، فضلا عن التوتر والقلق ما يستوجب العلاج النفسي وتأهيل الطفل لتجاوز الأزمة بحسب المختص النفسي "جلال خطاب".

كما يترافق البتر بمشاكل اجتماعية ناتجة عن الشعور بالضيق والخسارة، وخصوصا أن معظم الحالات التي يقع فيها البتر نتيجة للقصف تقع فيها خسائر أخرى من أفراد العائلة، ما يترك الأسرة في حالة من الشحن النفسي العصبي، تصبح رعاية الطفل المبتور عبئا أضافيا على أفراد الأسرة.

يشكو أحد الآباء لزيتون فضل عدم ذكر اسمه من الضغط النفسي والمادي الذي تتسبب به إصابة طفله بعد خسارة زوجته، مشيرا إلى عدم امتلاكه الوقت الكافي للتفرغ لرعاية طفله الذي يحتاج إلى رعاية دائمة وما بين اضطراره للعمل خارج المنزل، فضلا عن التكاليف المادية الكبيرة التي يحتاجها الطفل.

تتعقد حياة الطفل ببتر أحد أطرفه فتزيد حياة أسرته تعقيدا، وتتراكم الخسائر النفسية والجسدية والمادية تحت ثقل القصف والدمار، في محنة سورية لم تكتب نهايتها بعد.

الإنصات لهم.. خير علاج لأطفالنا المصدومين

تحرير زيتون

على ظهور الشاحنات المحملة بالأمتعة والمتجهة إلى مخيمات النزوح، يجلس الأطفال الهاربين مع ذويهم يستشرفون قادمهم فلا يرون سوى الخيام والضياع، في حاضر من ركام، بعدما سحقت نيران الطائرات والحرب حياتهم.

في واقع يعج بأسباب يكفي أحدها ليخلّف صدمة عنيفة للبالغين، يتلقى الصغار صدمات متتالية تراكم مشاكل نفسية ليس من السهل الشفاء منها.

تُعرّف الصدمة النفسية بأنها "أعراض ما بعد تجربة صادمة أو حدث عنيف ومؤذ يهدد الحياة، ينتج عنها خوف شديد أو إحساس بالعجز"، تحتاج هذه الحوادث إلى مجهود غير عادي لمواجهتها، كما يعرفها أخرون بأنها "حالة فجائية طارئة غير متوقعة، تكون فوق طاقة الإنسان، تؤثر عليه، بحيث يكون عاجزا عن التأقلم مع الواقع".

تقول المربّية في إحدى رياض الأطفال بجسر الشغور بريف إدلب الغربي "أماني المحمد": "يلعب الأطفال بشكل دائم لعبة الجيش الحرّ والشبيحة، ويمثلون الاقتحامات، ويحفظون أسماء كل أنواع الأسلحة، كما ترتفع نسبة المنعزلين والمنطوين بالإضافة إلى مظاهر الخوف لدى الجميع حتى لدى الكبار، لكن يبقى الطفل مرآة للخلل الذي أصاب المجتمع".

في حالة غير مفهومة يبكي أحمد ذو الست سنوات ويختبئ خلف أمه صائحا "سيعتقلوني" كلما رأى رجلا يرتدي زيا عسكريا أو يحمل سلاحاً، فيما بدأت تظهر على أخته بتول التي تكبره بثلاث سنوات بوادر لمرض جلدي، وتؤكد أمهما لزيتون على أن ما أصاب ولديها بدأ منذ أن علما بوفاة والدهما في السجن.

"لؤي محمد الأعرج" طالب كان في الصف الخامس الابتدائي بمدرسة قرية حاس التي لا يتجاوز عدد سكانها ١٥ ألفا، وأحد الناجين من المجزرة التي وقعت في مدرسته وراح ضحيتها ٤٥ معظمهم من الطلاب قال لـ «زيتون»: "لا تزال أصوات الانفجارات تدوّي في رأسي، ومشاهد الدمار والدماء، تدافع الطلاب، وهروب بعضهم، واختباء البعض الآخر تحت مقاعد الدراسة التي امتلأت لاحقاً بالدماء لا تفارق مخيلتي، وكأنها تتكرّر في كل لحظة، فقدت أصدقائي وأساتذتي، لن أعود للمدرسة مرة أخرى".

تنتشر ظاهرة الخوف المبالغ فيه لدى جميع سكان الشمال السوري وبشكل خاص لدى الأطفال من الأصوات المرتفعة ولا سيما تلك التي تشابه صوت انقضاض الطائرات، يرافقهم ذلك الخوف حتى بعد خروجهم من سوريا ليعيش معهم في دول اللجوء.

يلخص الأخصائي في العلاج والصحة النفسية الدكتور «خالد الضعيف» لزيتون بعض أعراض الصدمة بالخوف والقلق، وهما من أهم العوارض التي تظهر على الطفل، والخوف قد يدفع إلى اليقظة الزائدة التي تسبب صعوبة في التركيز وصعوبة في النوم، وهو ما يسبب عصبية وتدني قدرة الطفل على التعلم.

كذلك تظهر حالة من الإنكار على بعض الأطفال الذين يميلون الى إنكار الواقع كأن يؤكد طفل فقد زميله على عودته غدا إلى المدرسة، كبعض الحالات التي ظهرت بين أطفال قرية حاس بعد المجزرة التي وقعت لرفاقهم في المدرسة والتي رصدتها زيتون سابقا.

"راما" إحدى الأطفال الناجيين من مجزرة مدرسة حاس تحدثت عن أصوات البكاء والصراخ التي عمت المدرسة، وكيف تذكرت ابن عمتها أحمد في الصف الأول، وصار همها إخراجه من المدرسة، وحين وجدته يبكي أخذته وركضت به، تذكر راما بأن أحمد كان يبكي ويقول: "يا رب لا تموّتني، أنا ابن شهيد، أنا وحيد لأمي، أنقذني من أجلها"، كما تذكر كيف كادت أن تتعثر بيد طفل يمسك حقيبته المدرسية في الطريق".

أهم الاضطرابات النفسية شيوعا لدى الأطفال السوريين هي "اضطراب الرض ما بعد الصدمة واضطراب القلق العام والتبول اللاإرادي"، من عوارضها زيادة التعلق بالأبوين على نحو ملحوظ وحديث العهد هو دليل صدمة قلق لدى الطفل، منها أيضا قضم الأظافر ورؤية الكوابيس، وضعف التركيز والخوف غير مبرر، إضافة الى العنف الناتج عن الخوف وفقدان الثقة بالحياة وتراجع القدرة على التفكير المنطقي، إضافة إلى الانزواء والانطواء والميل إلى الوحدة بحسب الطبيب النفسي "مضر حبار".

وكانت جامعة ألمانية قد أجرت دراسة نشرها DW شملت ١٠٠ طفل سوري لاجئ في ألمانيا عام ٢٠١٥، أكدت أن طفل من كل خمسة أطفال سوريين يعاني من اضطراب ما بعد الصدمة، و٣٠٪ منهم يحاول مقاومة مشاكل عقلية خطيرة، مشيرة إلى أن ٦٠ في المائة من الأطفال من مشاعر العزلة بعد وصولهم إلى ألمانيا.

كيف نساعدهم

ينصح الطبيب خالد الضعيف التركيز على التعامل مع الطفل بطريقة غير لفظية، نتيجة لانخفاض قدرتهم على التعبير فهو لا يعرف كيف يعبر عن آلامه وما يعانيه بصورة كلمات أو ألفاظ لغوية.

ويضيف الطبيب "حبار" نصائح أخرى يمكن للأهل القيام بها أثناء تعاملهم مع أطفالهم المعرضين للصدمات بالآتي:

علينا أن نستمع لأطفالنا، الاستماع الجيد للأطفال وكلما كرر الطفل الحديث عن الصدمة من خلال التفريغ الانفعالي كلما قل تأثيرها عليه في المستقبل، والتحدث مع الطفل بطريقة تدخل الطمأنينة والأمان إلى قلبه واستخدام أي إجراء يعزز ذلك، ومن المهم محادثتهم قبل النوم عن أفكار ايجابية وعن طموحاتهم وأمالهم والإيحاء لهم بأن المستقبل أفضل، مبتعدين عن ذكر أسباب الصدمة.

كما يجب على الأهالي تقليل تعرض الأطفال الى الإعلام، وخاصة الإعلام الذي تظهر فيه مشاهد العنف والقصف، لأن الطفل يستعيد بذاكرته الصدمة، ويعتبر "الضعيف" أن سهولة الوصول لوسائل الإعلام ومقاطع الفيديو عن طريق الإنترنت التي تغذي العنف لدى الأطفال أو تثير الرعب لديهم من المشاكل التي لا يتنبه لها الأهل ويقول:

"للأسف الآباء يتصفحون المواقع الالكترونية ونشرات الأخبار غير مبالين بشعور أطفالهم أو غير مدركين بتأثيرها عليهم، وحتى العاب الأطفال الالكترونية فكلها تحاكي الحروب والقتل والعنف".

وتفيد مشاركة الأطفال بتنفيذ بعض الأنشطة البسيطة كأن يشاركوا أهاليهم بالعمل أو مرافقتهم لذويهم للتسوق، وتمكين الطفل من ممارسة حياته الطبيعية قدر الإمكان، وزيادة الاهتمام بفعاليات كانت في السابق أمرا "روتينيا" مثل الاحتفال بعيد ميلاد الطفل والخروج في نزهات.

لكن يبقى الشرط الرئيسي للبدء في أي علاج هو توقف أسباب الصدمة أو الحدث الصادم، وهو ما تفتقده الحالة السورية التي تستمر فيها الاضطرابات حتى اليوم.

يتيمٌ من لا حلم له

عرفة الموسى

مع حلول الموسم الدراسي الجديد تعود إحدى أهم المشكلات في الريف الإدلبي لتطفو على السطح لكن هذه المرة ستكون بزخم أقوى بتزامنها مع النزوح.

لم يتوقف الطفلان "أحمد وحسن" من نازحي بلدة التمانعة والذين لم يبلغا العشرة سنوات عن الحلم بالدفاتر والتلوين والأدوات المدرسية، وهما اليوم يراقبان أقرانهم من الأطفال وهم يذهبون إلى مدارسهم بحسرة وألم.

لم يسرفا بالحلم واكتفيا أن يكون لديهما بعض القرطاسية والأقلام تحت ظل شجر الزيتون الذي آواهما، ليتعلما القراءة والكتابة ويمارسا هوايتهما في الرسم، التي طالما حلما بها معتقدين أن ظل الشجرة أحن على جسديهما من سقف بيتهما الذي تحول إلى ركام منذ ثلاث شهور حين حولتهما صواريخ الطيران إلى مجرد حجارة وقطع من الإسمنت يربط بينهما بعض الأسياخ الحديدية.

لكن كيف يمكن لمن يسكن العراء أن يفكر بالكتاب والتعلم، وكيف يمكن لمن لا يكسو جسده سوى قمصان مهترئة لا تقيه الحر والبرد أن يحلم.

أحمد وحسن طفلان أجبرا على التسول والعمل بأي شيء من نبش صناديق القمامة إلى التحميل لتأمين قوتهم، الذي خسروه مع ذويهم حين فروا من الموت من تلك البلدة.

بشعرهما الأشعث الذي يغطي وجهيهما، وعينيهما المكسورتين بالحزن، وبجسدين هزيلين ونحيلين ووجنتين شاحبتين مسمرتين تركت الشمس فيهما أثرها الذي يشير إلى ما مرا به مصاعب، يستمران بالحلم أن يعودا ذات يوم لمقاعدهما في المدارس، يرسمان ما خبراه من ألم وتشرد، ويلونان أوراقهما البيضاء بألوانهما المرتجاة.

أحمد وحسن ليسا أخوين، لكن جمع بينهما الشقاء فتحابا كشقيقين وعاشا في خيمتين متجاورتين في أحد كروم الزيتون غربي مدينة إدلب مع من تبقى من أهلهما، صنوان رفيقان كأصبعين في يد كادح، قريبين ومتعاونين، يتشاركان حتى الحلم.

لا مدارس في تلك البراري التي يعيشان بها، لكن ما يعيقهما هو مساعدة أهلهما في قوتهم، كما أن المدارس اكتظت باللاجئين مثلهم، الكثير منهم حالتهم كحالة الطفلين، فلا معيل ولا مساعد ولا وسائل لنقلهم إلى المدارس البعيدة، هذه بعض الأسباب التي تحول بينهما وبين مدارسهم بعد مشكلتهم الأولى وهي القصف الذي شردهم.

حين يغدو حق الطفل في التعلم حلما له، وتصبح المقاعد بعيدة عن حياته، سيقنع الطفل بما تيسر له من حياة شحيحة، ليكمن في داخله غيظ سيتنامى مع الأيام ضد من سلبوه ذلك الحق في تحقيق حلمه.

زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع